محمد جواد مغنية



السيدة زينب بنت أمير المؤمنين "ع"



دار التيار الجديد

دار الجواد



مع بطلة كربلاء

زينب
بنت الإمام أمير المؤمنين



محمد جواد مغنية

مع بطلة كربلاء

زينب
بنت الإمام أمير المؤمنين

دار التيار الجديد   دار الجواد

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الخامسة

مصححة ومنقحة

١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

دار التيار الجديد
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان
ص . ب ٤٥ / ٢٥ الغبيري
بئر العبد شارع معوض مقابل احذية هاشم

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين . وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين ٠

وبعـــد :

فقد رغبت اليّ احدى دور النشر والتوزيع ان اضع لهـا كتاباً في « السيدة زينب بنت امير المؤمنين » عليها وعلى آبائها افضل الصـلاة والسـلام ٠

فقلت لصاحب الدار : ان الذين الفوا في هذا الموضوع لم يقصروا ، ولم يتجافوا عن الغاية المنشودة من التأليف ٠٠ بـل بعض هؤلاء قـد اجتذب اليه القراء ، واستقبلوا كتابه احسن استقبال ٠

فقال : انك كتبت في فضائل ابيها امير المؤمنين ، مع ان غيرك كتب، واجتذب اليه القراء ٠

فتوكلت على الله عز وجل ، وكتبت هذه الصفحات ، وحاولت مـا استطيع ان اضيف الى ما كتبوا اشياء ، لها اهميتها ، على ان لا اضايق القارىء بذكر مطولات منقولة من هنا وهناك ٠٠ واذا كتب البعض تملقاً للجمهور ، او رغبة في شيء يطلبه ، فان هدفي الاول والاخير ان اوحي الى القارىء الشعور بعظمة السيدة ، وآل بيت الرسول (ص) ٠

ومعلوم ان دور النشر لا تستجيب لشيء الا للجمهور القارىء .. لذا تملكتني الغبطة بهذا الطلب ، وقلت في نفسي : لم يبق اي مجال للسكوت ما دام الطلب قائماً ، وحمدت الله سبحانه على ان يكون هذا الموضوع ، وما اليه مرغوباً ومفضلا عند القراء ، مع ان هذا اللون من الكتب لا يعتمد على وسائل التشويق والاغراء ، كما هي الحال في كتب الجنس والخلاعة ، والغرام والاجرام — اذن — فالدافع الوحيد لاقبال القراء ان في اهل البيت سراً ينبض بالحياة ويفيض بالخيرات .وقوة ذاتية تجذب اليها كل انسان ، من حيث لا يدري .

هذا ، مع العلم بان كل من كتب في فضائل اهل البيت ومناقبهم ، منذ البداية حتى اليوم لم يتجاوز المرحلة الاولى ، ولن يتجاوزها ، مهما اطنب واطال .. ولا اعرف احداً عرض هذا الموضوع عرضاً وافياً ، حتى العلامة المجلسي في بحاره وانواره .. والسر هو طبيعة الموضوع . فانه اسمى واعظم من ان تصل العقول الى كنهه وحقيقته .

وقد سبق ان كتبت خمسة كتب في اهل البيت وفضائلهم — ماعدا هذا الكتاب [1] وهي في مجموعها تعبر عن عظمتهم تعبيراً جزئياً ، او قل: انها ليست تصويراً لتلك العظمة ، وانما هي مجرد اقرار واعتراف بمنزلتهم ومكانتهم .. وكذلك هذه الصفحات ان هي الا اقرار واعتراف بعظمة بنت الوحي والنبوة .

والله سبحانه المسئول ان يجعل الوقت الذي امضيته في كتابتها افضل اوقاتي كلها ، انه خير مسئول ، وصلى الله على محمد وآله الطيبين.

---

(١) هذا الكتاب هو الواحد بعد العشرين والسادس في الفضائل . والخمسة تلك هي « اهل البيت » . « علي والقرآن » . « الشيعة والحاكمون » . « المجالس الحسينية » . « فضائل الامام علي » .

نسب السيدة زينب

- ابوها علي بن ابي طالب .
- جدها لابيها ابو طالب .
- جدتها فاطمة بنت اسد .
- امها فاطمة بنت محمد (ص) .
- جدها لامها رسول الله (ص)
- جدتها خديجة بنت خويلد .
- اخوتها الامامان الحسن والحسين ، ومحمد بن الحنفية ، وقمر بني هاشم ابو الفضل العباس .
- عمومتها جعفر الطيار في الجنة ؛ وطالب وعقيل ابو مسلم .

وبالتالي ، فهي عمة الأئمة التسعة المعصومين .

عليٌ :

لقد اثنى الله على علي في كتابه ، ومحمد في سنته ؛ ودانت الملايين بالولاء له ؛ وألف في فضائله العلماء القدامى والمحدثون من السنةوالشيعة

وغير المسلمين من الشرقيين والغربيين مئات المجلدات ، وسيبقى الحديث عن علي الى آخر يوم •• واكتفي ــ هنا ــ وانا اتكلم عن نسب ابنته بقوله (ع) • « نحن اهل البيت لا يقاس بنا احد » • وبكلمة الجاحظ التي علق بها على هذه الجملة ، قال :

« صدق علي في قوله : نحن اهل البيت لا يقاس بنا احد ، وكيف يقاس بقوم ، منهم رسول الله ، والاطيبان علي وفاطمة ، والسبطان الحسن والحسين ، والشهيدان حمزة وذو الجناحين جعفر ، وسيد الوادي عبد المطلب ، وساقي الحجيج العباس ، وحليم البطحاء والنجدة ، والخيرة فيهم ، والانصار من نصرهم ، والمهاجرون من هاجر اليهم ومعهم ، والصديق من صدقهم . والفاروق من فرق بين الحق والباطل فيهم . والحواري حواريهم ، وذو الشهادتين ، لانه شهد لهم [1] ولا خير الا فيهم والهم ومنهم ، وابان رسول الله اهل بيته بقوله : « اني تارك فيكم الخليفتين : كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض ، وعترتي اهل بيتي ، نبأني اللطيف الخبير انهما لن يفترقا ، حتى يردا علـيّ الحوض » ولو كانوا كغيرهم لما قال عمر لما طلب مصاهرة علي : اني سمعت رسول الله يقول : كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة الا سببي ونسبي ، اما علي فلو أردنا أن ندون لايامه الشريفة ومقاماته الكريمة ، ومناقبه السنية ، لأفنينا في ذلك الطوامير ، العرق صحيح ، والمنشأ كريم ، والشأن عظيم ، والعمل جسيم ، والعلم كثير ، والبيان عجيب ، واللسان خطيب ، والصدر رحب ، واخلاقه وفق اعراقه ، وحديثه يشهد لقديمه » •

---

(١) ذو الشهادتين هو خزيمة ابن ثابت الصحابي ، ويقال لـه ذو الشهادتين ، لان رسول الله جعل شهادته شهادة رجلين .

اسلام ابي طالب :

ولا بد من كلمة في اسلام ابي طالب ، ونحن نتحدث عن نسب حفيدته السيدة زينب • وقد اشتهر بين السنة انه مات على غير الاسلام ، واجمعت كلمة الشيعة على انه مات مسلماً ، ولكني نعرف الحق مع اي جانب من الطائفتين ينبغي التمهيد بما يلي :

١ ــ اذا اتفقت كلمة المسلمين جميعاً السنة والشيعة على شيء ، كان اتفاقهم دليلا بنفسه لا يحتاج معه الى البحث والنظر ، وكان لكل مسلم ان يجزم ويعتقد بما اتفقوا عليه دون قيد او شرط ، وبدون ترو وتريث، فلو قال قائل : ان ابا جهل مات على غير الاسلام ، فلا يحق لاحد ان يعترض عليه ، ويطلب منه التثبت قبل الحكم بكفره ، لان المفروض اتفاق الجميع على ذلك ، وعدم وجود قولين ، ليجب النظر والتدقيق في أي القولين أصح ؟ واي الدليلين اقوى ؟•

اما اذا اختلف المسلمون فيما بينهم ، وذهبت كل طائفة الى رأي فيجب حينئذ البحث والنظر ، ومن جزم وحكم بدون تثبت ، ولمجرد الاعتماد على الشهرة عند احد الفريقين فهو مقلد جاهل ، اذ ليس كل ماهو موجود واقعاً يجب ان يشتهر ، ولا كل مشهور يجب ان يكون موجوداً في الواقع ، ولذا قيل : « رب مشهور لا اصل له » ولو سلمنا جدلا ، لا اعتقاداً ان الشهرة حق وصدق فانما تكون حقاً اذا لم يقم الدليل المحسوس الملموس على ضدها وكذبها •• وقد جاء في الحديث : « ليس المخبر كالمعاين » ، على ان الاخذ بما اشتهر عند السنة دون الاخذ بما اشتهر عند الشيعة تحكم ، وترجيح بلا مرجح • وعليه يتحتم طرح القولين معاً ، وترك التعصب لاحدهما ، والتجرد للبحث النزيه •• فلقد دلت التجارب منذ القديم على ان الذين يلجأون الى نزوات العاطفة لا يهتدون الى خير،

ومحال ان يهتدوا ما دامت الميول هي المسيطرة . والتقاليد هي المتحكمة .

٢ ـ ان عقيدة الانسان . اي انسان لا تعرف على حقيقتها الا في ضوء واقعه وحياته الخاصة ، وما يحيط بها من الظروف والملابسات . فهي التي توجهه في سلوكه وآرائه ومعتقداته ، ومحال ان نعرف شيئاً من ميوله ورغباته بمعزل عن واقعه وعالمه الخاص .

٣ ـ انه كما اشتهر بين السنة ان ابا طالب مات على غير الاسلام، فقد اجمعت الشيعة ان ابا سفيان مات على النفاق ، واختلفت السنة في حسن اسلامه ، اي في نفاقه وعدمه . قال صاحب « الاستيعاب في اسماء الاصحاب » ج ٤ ص ٨٦ المطبوع مع كتاب « الاصابة » سنة ١٩٣٩ : « اختلف في حسن اسلام ابي سفيان . فطائفة تروي انه لما اسلم حسن اسلامه .. وطائفة تروي انه كان كهفاً للمنافقين منذ اسلم .. وكان في الجاهلية ينسب الى الزندقة » .

ويحتم علينا المنطق في مثل هذه الحال ان لا نجزم باسلام ابي طالب . ولا بحسن اسلام ابي سفيان الا بعد البحث والنظر . وان لا نعتمد على قول اية فئة من الفئات .. بل علينا ان ننظر ـ اولا وقبل كل شيء ـ الى حياة كل من ابي طالب وابي سفيان وظروفه الخاصة : هل تتجه به الى الاسلام ، والايمان برسالة محمد ، او الى الشرك . ومحاربة محمد ورسالته ؟..

وان واقع ابي سفيان ، وكل ما يتصل بتاريخه وحياته من قريب او بعيد يتجه الى التعلق بالاوثان . والدفاع عنها . والتضحية من اجلها بكل غال وعزيز . حتى ولو كان في واقعه . وبينه وبين نفسه لا يعتقد بها ولا بشيء ابداً .. لان الاوثان تمنحه الامتياز والسيادة على الضعفاء والمساكين ، ومحمد يجرده من كل ذلك . ويدعو الى الاخاء والمساواة .

والاوثان تبيح له السلب والنهب والفسق والفجور ، وما اليه من الرذائل. ومحمد يأمر بالفضائل ومكارم الاخلاق ، فمحمد ــ اذن ــ خطر على الاستقراطيين بعامة ، وعلى ابي سفيان بخاصة .

هذا ، الى العداء الموروث المتأصل بين هاشم وامية ، فكيف يستسلم ابو سفيان وينقاد الى الد اعدائه ، وقد ظهر ذلك في الحروب والمكائد التي نصبها للرسول الاعظم (ص) .. وهل بعد هذه الارقام المحسوسة المستمدة من واقع ابي سفيان من شك وريب في انه اظهر الاسلام عن خوف لا عن ايمان ، وحقناً لدمه لا بدافع من ضميره ووجدانه ؟.. وهل نأخذ بالشهرة وغير الشهرة بعد ان انكشف الواقع كشفاً حسياً تبددت معه الشكوك والاوهام ؟.. ان ابا سفيان لا يرجع في سلوكه الى عقل ولا دين ولا ضمير ، وانما المعيار والدافع والمثل الاعلى عنده هي المنفعة الخاصة لا غيرها .. شأن جميع الاقوياء الذين لا يربطهم أي شيء بهذا العالم غير المصالح الشخصية (١) .

---

(١) قال صاحب الاستيعاب ج ٤ ص ٨٨ . « لابي سفيان اخبار رديئة ذكرها اهل الاخبار » ونحن نشير هنا الى بعضها ، منها ذكره صاحب الاستيعاب ص ٨٧ ان ابا سفيان دخل على عثمان حين صارت اليه الخلافة، وقال له : ادرها كالكرة .. انما هو الملك ، ولا ادري ما جنة وما نار . ومنها ما ذكره صاحب « الاصابة » ج ٢ ص ١٧٢ طبعة ١٩٣٩ ان ابا سفيان قال في نفسه : ما ادري بم غلبنا محمد ؟ فضرب النبي على ظهره ، وقال : بالله غلبك . ومنها ما جاء في العقد الفريد ج ٥ ص ١٠ طبعة ١٩٥٣ انه حين بويع ابو بكر قال ابو سفيان: : اني ارى غبرة لا يطفئها الا الدم ، وجعل يطوف في ازقة المدينة ويقول :

بني هاشم لا تطمع الناس فيكم ... ولا سيما تيم بن مرة او عدي
فما الامر الا فيكم واليكم ... وليس لها الا ابو حسن علي

فقال عمر لابي بكر : ان هذا فاعل شراً ، وكان يتألفه على الاسلام ، فدغ ما بيده من الصدقة ، ففعل ، فرضي ابو سفيان وبايعه .

اما واقع ابي طالب فعلى الضد تماماً من واقع ابي سفيان ، فلا يلتقيان في جهة ، ولا يتشابهان في شيء ، فابو سفيان تأكل الضغائن قلبه على محمد ، وابو طالب يحنو عليه حنو المرضع على فطيمها ، فعن طبقات ابن سعد انه كان يحبه حباً شديداً لا يحبه ولده ، وكان لا ينام الا وهو الى جنبه ، واذا خرج اخرجه معه ، وابو سفيان يخشى من انتصار محمد على مجد « امية » ، ويعتقد ابو طالب ان في انتصار اخيه المجد الدائم والشرف الخالد . واي شرف اعظم من ان يعهد الله سبحانه الى ربيب ابي طالب باماتته ؛ ويختاره على جميع خلقه ؟.

هذا اذا قسنا ابا طالب بمقياس النفعيين والانتهازيين تماماً كما نقيس ابا سفيان ، وقلنا : ان كلا منهما يعمل بدافع من منافعه الخاصة ، لا بوحي من عقله وضميره .. فان النتيجة الحتمية المنطقية هي إيمان ابي طالب بمحمد ورسالته ، وجحود ابي سفيان بكل ما يمت الى النبي بسبب .

ولو نزهنا ابا طالب عن الغايات والاهواء . ونظرنا اليه كطالب للحق من مصدره وادلته لجاءت النتيجة ايضاً ايمانه بالله والرسول ، فلقد شاهد من آيات ابن اخيه منذ طفولته الى ما بعد النبوة ما لم يتسن لاحد سواه.. مات ابو النبي قبل ان يرى ولده العظيم ، فكفله جده عبد المطلب ، ثم توفي الجد . وللنبي من العمر ثماني سنوات ، وكان قد عهد به الى ابي طالب ، وقال له فيما قال : « استمسك به وانصره بلسانك ويدك ومالك.. فان له شأناً..وارجو ان يبلغ من الشرف ما لم يبلغه عربي قبله ولا بعده».

وكان ابو طالب يحدث عن النبي بعد ان ضمه اليه ، ويقول :

« كنت كثيراً ما اسمع منه اذا ذهب الليل كلاماً يعجبني ، وكنا لا نسمي على الطعام ، ولا الشراب ، حتى سمعته يقول : بسم الله الاحد ، ثم يأكل ، فاذا فرغ قال : الحمد لله كثيراً ، وكنت آتيه على غفلة فأرى من

لدن رأسه نوراً ممدوداً قد بلغ السماء .. ولم ار منه كذبة قط ، ولا جاهلية قط ، ولا رايته يضحك في غير موضع الضحك . ولا وقف مع الصبيان في لعب ، ولا التفت اليهم ، وكانت الوحدة والتواضع احب اليه» .

ونقل ابن عساكر ان قحطاً اصاب قريشاً ، فاستسقى ابو طالب بمحمد ، وما ان مد باصبعه ، حتى اقبل السحاب من ها هنا وهنا ، واغدق الوادي ، واخصب النادي ، وفي ذلك يقول ابو طالب :

وابيض يستسقى الغمام بوجهه   ثمال اليتامى عصمة للارامل

وكانت فاطمة بنت اسد زوجة عمه ابي طالب تحدث عنه . وتقول :

« كان في صحن داري شجرة قد يبست . فاتى محمد يوماً الى الشجرة ، فمسها بكفه ، فصارت من وقتها وساعتها خضراء وحملت الرطب» .
وفي طبقات ابن سعد ص ١٢٠ ج ١ طبعة دار بيروت سنة ١٩٥٧ ان ابناء ابي طالب اذا اكلوا جميعاً او فرادى لم يشبعوا ، واذا كان معهم النبي شبعوا .

وبعد ان رأى ابو طالب هذه الآيات بعينيه ، وتكررت عليه مرات ومرات ، وبعد ان سمع من ابيه وغير ابيه التنبؤات ، يقال : انه مات على غير الاسلام ، وهو ذو العقل الكبير ، والنظر البعيد ؟. وهل عرب البادية وغيرهم من المهاجرين والانصار ارجح عقلا من ابي طالب .. او رأوا وشاهدوا من آيات محمد اكثر مما رآى وشاهد .. او كانوا الصق به واقرب اليه من عمه ؟ .. وبعد ، فبأي منطق اخذ الباحث ، وباي مقياس قاس ابا طالب ، فالنتيجة ان عدم اسلامه مستحيل او شبه مستحيل .

ان من شك باسلام ابي طالب فقد شك بنبوة محمد ، من حيث لا يدري ولا يشعر .. اذ لا يمكن بحال ان نجمع بين القول بان النبي اتى

بالبرهان القاطع على نبوته ، وبــين القول بان ابا طالب غير مسلم ، مــع العلم والتسليم بصحة ادراكه ، ورجحان عقله ، وخبرته التامة بحقيقة ابن اخيه ، وشدة حبه واخلاصه له . فكل من قال بان محمد اتى بالدليــل الكافي الوافي يلزمه القول باسلام ابي طالب ، وكل من قال بعدم اسلامه يلزمه القول بان النبي لم يقم الدليل المقنع بذاته على نبوته ، والتفكيك جهل وتحكم .. وبكلمة ان عدم اسلام ابي طالب ــ او فرض ــ يــدل على ان في الواقع سراً يستدعي عدم الايمان بمحمد .. حاشا لله ولرسوله، ولكافله وحاميه والذاب عنه وعن رسالته ..

ورب من يسأل ويقول : ما هو السبب للتشكيك باسلام ابي طالب ما دام بهذه المنزلة والوضوح ؟

الجواب :

ان القول بنفي الاسلام عن ابي طالب جاء جواباً للقول بنفاق ابي سفيان .. اليس ابو طالب والد علي امير المؤمنين ، وابو سفيان والد معاوية ؟!.. ولا بد من الموازنة وترجيح هــذا على ذاك ، او المساواة بينهما على الاقل ..

سؤال ثانٍ : لماذا لم يجاهر ابو طالب باسلامه منذ اليوم الاول لدعوة الرسول الاعظم (ص) كما فعل ولده علي ؟..

الجواب :

اولا : انه جاهر بذلك فيما قاله من الشعر الذي ذكر في كتب السير والتاريخ ، ومنه قوله :

ولقد علمت بأن دين محمــد   من خير اديان البرية دينا

ثانياً : ان الاسلام كان ضعيفاً في بدء الامر ، وقد تألبت عليه قوى الشرك من كل جانب ، فكان من صواب الرأي ، والخير للاسلام ونبيه ان يكتم ابو طالب إيمانه احكاماً لخطة الدفاع ، وهذا كثيراً ما يحدث بين اصحاب المبادىء ، فلقد كتم مؤمن من آل فرعون ايمانه ليمكنه الدفاع عن موسى (ع) : « وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه اتقتلون رجلا يقول ربي الله — ٢٨ غافر » وامر رسول الله نعيم بن مسعود الاجشعي ان يكتم ايمانه في وقعة الاحزاب ، ليخذل بين اليهود وقريش، بل اذن له ان يقول فيه ما يشتهون .

وقال السيد محسن الامين في الاعيان ج٣ ص ٥ طبعة ١٩٦٠

« لو جاهر ابو طالب باسلامه لم يمكنه ما امكنه من نصرة رسول الله » .

وقال صاحب السيرة الحلبية ج ١ ص ٤٦٧ « باب وفاة ابي طالب وزوجته » : « وكان من حكمة احكم الحاكمين بقاء ابي طالب على دين قومه . لما في ذلك من المصالح التي تبدو لمن تأملها » .

ويأبى الله سبحانه الا ان يقيم الشواهد على الحق ، ولو على لسان الجاحدين والمعاندين .. ان هذا القائل ينكر ايمان ابي طالب ، ويعترف في الوقت نفسه ان مصلحة الاسلام تستدعي ذلك ، وذهل عن بديهة لا تقبل الشك ، وهي ان الكفر بالله قبيح في ذاته ، وانه لم ولن تكون فيه مصلحة ولا حكمة مهما تكن الظروف والبواعث والاهداف .. وايضاً ذهل ان الغرض المطلوب يتحقق في كتم الايمان ، كما فعل نعيم بن مسعود ومؤمن آل فرعون ، ولو شاء الله عدم اسلام ابي طالب لمصلحة النبي لكان

كفره افضل من ايمانه •• بل وجب ان يؤاخذ ويعاقب على الاسلام والايمان بالله ورسوله •• ولا قائل بهذا الهجر والهذيان احد •• فتعين ـ اذن ـ القول بان كتم ايمانه ، جمعاً بين مصلحة الاسلام ، وقبح الكفر •

وقد وضعت كتب خاصة في اسلام ابي طالب ومناقبه ، فليرجع اليها من اراد التفصيل ، وتسهيلا على القاريء نزوده بهذين الرقمين : الاول جاء في السيرة النبوية لابن هشام ص ٢٤٧ من القسم الاول طبعة ١٩٥٥ ان ابا طالب قال لولده علي : « ان محمداً لم يدعك الا الى خير ، فالزمه» • ولا معنى للاسلام الا الاعتراف بان دعوة محمد خير يجب اتباعه والالتزام به •

الثاني : جاء في طبقات ابن سعد ج ١ ص ١٢٣ طبعة ١٩٥٧ ، وفي السيرة الحلبية ج ١ ص ٤٦٧ « باب وفاة ابي طالب » ان علياً حين اخبر النبي بموت ابيه ابي طالب بكى ، وقال : اذهب ، فاغسله وكفنه ، وواره ، غفر الله له ورحمه » •

وما كان النبي ليأمر بتجهيز من اشرك وألحد ، ويطلب له من الله الرحمة والرضوان •• وغريب حقاً ان يحتاج اسلام ابي طالب الى دليل، وان يكون محلا للتساؤل ، وهو الذي كفل رسول الله صغيراً ، ونصره كبيراً ، ولاقى من اجله اشد البلاء والعناء ، حتى ان احداً لم يطمع برسول الله ، وان الله لم يأمره بالهجرة الا بعد وفاة عمه ابي طالب •• غريب ان يكون اسلام ابي طالب محلا للتساؤل ، وقد اتفقت الكلمة على انه لولا ابو طالب لقضي على دعوة محمد ، وهي في المهد ، ولم يكن للاسلام عين ولا اثر •

وابوها اسد اخو عبد المطلب جد النبي (ص) فهي اول هاشمية ، تزوجها هاشمي ، ولم يتزوج ابو طالب بغيرها ، وولدت له طالباً ، ولا عقب له ، وعقيلا ،وجعفراً ، وعلياً ،وكل واحد اسن من الآخر بعشر سنين، وام هاني ، واسمها فاختة .

ولما كفل ابو طالب محمداً انزلته من قلبها منزلة الاحشاء ، وجعلته نصب عينيها ، ان غاب عنها لحظة لم يغب مثاله ، ولم تفقد شخصه ،وتذهل عن كل شيء ، حتى يحضر ، فتشتغل بتغذيته ، وغسله ، وتنظيفه ، وتلبيسه ، وتدهينه ، وتعطيره ، واصلاح شأنه ، فاذا كان الليل اشتغلت بفرشه ، وتوسيده ، وتمهيده ، فكانت لا تغفل عنه وعن خدمته لحظة في ليل ولا نهار ، وكان يسميها امي .

ولما توفيت كفنها رسول الله بقميصه ، وامر من يحفر قبرها ، فلما بلغوا اللحد حفره بيده ، واضطجع فيه ، وقال ، اللهم اغفر لأمي فاطمة بنت اسد ، ولقنها حجتها ، ووسع عليها مدخلها ، فقيل له : يا رسول الله رأيناك صنعت شيئاً لم تكن تصنعه باحد قبلها ، فقال البستها قميصي لتلبس من ثياب الجنة ، واضطجعت في قبرها ، ليوسع الله عليها ، وتأمن ضغط القبر ؛ انها كانت من احسن خلق الله صنعاً اليّ بعد ابي طالب (1) .

صنع النبي بها هذا وفاء لأحسانها ، واعترافاً بجميلها ؛ ومع هذا فقد جعله دون احسان عمه ابي طالب ، لأنها احسنت اليه بالذات ، وعمه

---

(1) كتاب « الاصابة » لابن حجر الشافعي و « الاستيعاب » للقرطبي المالكي المطبوعان معاً سنة ١٩٣٩ ج ٤ ص ٣٦٨ و ٣٧٠ ، وهذا لفظهما بالحرف : « لم يكن احد بعد ابى طالب ابر بى منها » .

احسن للاسلام والمسلمين جميعاً •• ولولا دفاع أبي طالب وسيفه ولده علي لما قام للاسلام قائمة ، ولما عاش في ظله انسان •• وغريبة الغرائب ان يعترف النبي باذ لعمه حقوقاً دونها حقوق الامهات على الابناء ، ثم يقول من يدعي الاسلام : انه في ضحضاح من نار ، لا لشيء الا لأن في هـذا الافتراء مسّاً بعلي وخلافة علي ••

وبالتالي : فان على الباحث المنصف ان يضع هذه الحقيقة في حسابه. وهو يقرأ او يسمع لمن انكر اسلام ابي طالب •• عليـه ان يقف موقف المدقق الذي ينظر الى ابعد الأسباب والدوافع ، لا موقف الجاهل المقلـد الذي لا يعرف الا الظاهر . ويؤمن بالكلمة المطبوعة ، لا لشيء الا لأنها مطبوعة ، وكفى •

الانتساب الى النبي

ليس من شك ان القربى من رسول الله (ص) ليست بالشيء اليسير. ولكن ما هي هذه القربى ؟. وبأي شيء ينال الانسان شرفها ؟. هل يناله لمجرد الانتساب بالولادة الى محمد ، او لا بد من شيء آخر ؟.

الجواب :

ان من انتسب الى رسول الله بالولادة اشبه بمن انتسب الى الاسلام ؛ لنطقه بالشهادتين .. فمن قال : لا اله الا الله ، محمد رسول الله تصح نسبته شرعاً الى الاسلام ، ولو فعل ما فعل .. وكذا من ولدته فاطمة الزهراء (ع) تصح نسبته الى محمد واقعاً ولغة وعرفاً ، ولو كان بينه وبينه الف واسطة وواسطة [1] .

ولكن اذا اعتبر الاسلام الشهادتين اساساً وركناً من اركانه ؛ فليس معنى ذلك ان هذه هي حقيقة الاسلام ، وكفى ، وانه في واقعه لا يعدو الشكل والكلام ، كيف ؟. ولو كانت هذه حقيقته ، وهذا واقعه لاستوى

---

(١) وقيل : مع كثرة الواسطات تصح النسبة لغة ، لا عرفاً ، لانه مع بعد الزمن وطول السلسلة تكون النسبة الى الجد الاول تماماً كنسبة ابناء هذا الجيل ومن بعده الى ابي البشر آدم .

عند الله سبحانه الأئمة والمقلدون ، والمجاهدون والمتخلفون ما داموا جميعاً يشهدون لله بالوحدانية ، ولمحمد بالرسالة .

ان المسلم منه العالم والجاهل ، ومنه العادل وغير العادل ، ومنه المجاهد والقاعد ، ولكل درجته ومرتبته عند الله سبحانه ، واحكامه الخاصة في هذه الحياة .. فالعالم يُرجع اليه في معرفة الشريعة وفصل الخصومات، والعادل يؤتم به في الصلاة ، ويؤخذ بحديثه وشهادته ، والمجاهد يعطى الافضلية في كثير من الحقوق المادية والادبية .

اجل ، هناك آثار واحكام تعم الجميع بالسواء ، وبدون استثناء ، فكل من قال : لا اله الا الله محمد رسول الله حفظ ماله ودمه ، وجرت عليه احكام الزواج والمواريث ، وكان له ما للمسلمين ، وعليه ما عليهم في الشؤون العامة .. وكذلك من انتسب بالولادة من طريق الاب الى هاشم منه الصالح والطالح ولكل درجته واحكامه الخاصة ، ويشترك الجميع في بعض الاحكام من اخذ الاخماس ، والنذورات والاوقاف الخاصة بالسادات المنتسبين ، وحرمان المنتسب من الزكاة الا من منتسب مثله[1]. هذا ما يمتاز به المنتسب على غيره .. يأخذ من اموال الاغنياء ما يسد به حاجته وكفى .. اما ان يفخر ويعتز ، اما ان يشمخ ويعلو لمجرد الانتساب فلا .

وهنا سؤال يفرض نفسه ، وهو اذا كان الامر كذلك ، فعلام امر الله ورسوله بمودة القربى وطاعتهم والتمسك بحبلهم ؟.

(١) يقول الشيعة : ان لله حقوقاً في اموال الاغنياء تنفق على المعوزين، وفي وجوه البر والصالح العام ، ويقسمون هذه الحقوق على نوعين : نوع يسمونه الزكاة ، وآخر يسمونه الخمس ، وللفقير المنتسب الى هاشم من طريق الاب ان يأخذ من الخمس ، سواء اكان الغني الذي يعطي الخمس منتسباً او غير منتسب ، اما الزكاة فليس للمنتسب ان يأخذ منها الا اذا كان المعطي لها منتسباً مثل الآخذ .

ونجد الجواب في خطبة خطبها الحسين (ع) في مكة وهو متوجـه الى العراق ، فقد جاء فيها : « رضا الله رضانا اهل البيت نصبر على بلائه، ويوفينا اجور الصابرين ، لن تشذ عن رسول الله لحمته » . فالقربى الذين امر لله بمودتهم وطاعتهم هم اهل بيت الرسول خاصة ، وليس كـل من انتسب الى النبي او الى جـده هاشم بالولادة .. وأهل بيته هم الذيـن لا يشذون عنه في قول او فعل ، هم المثل الاكمل لشخص الرسول وعلومه واخلاقه ، وجميع مبادئه ، فاذا تكلموا نطقوا بلسانه ، واذا فعلوا عبروا عن رسالته . ولا شيء ادل على ذلك من حديث الثقلين الذين اوجب التمسك بهم ، تماماً كما اوجب التمسك بكتاب الله عز وجل .

وهل لمنتسب ــ غير الأئمة الاطهار ــ ان يدعي ويقول تجب مودتي وطاعتي على الناس محتجاً بهذا الحديث وآية التطهير وما اليهما ؟..

ان الذين تجب طاعتهم ومودتهم هم آل البيت الذين حددهم سيـد الشهداء بقوله : « رضا الله رضانا اهل البيت » ثم اومأ الى سبب هذا الرضا بقوله : « لن تشذ عن رسول الله لحمته» فهم من الرسول،والرسول منهم ، وهو لا يغضب ولا يرضى الا لله فهم كذلك ، حيث لا شذوذ ولا انفصال .

وبالتالي : فان الانتساب الى النبي بالاسم واللفظ يصح لمجـرد الولادة ، اما الانتساب اليه بالروح فيبحث ــ اولا وقبل كل شيء ــ عن دلائله في النوايا والاعمال التي ترضي الله سبحانه ، لا في سلسلة الآباء والاجـداد .

في بيت فاطمة

ولدت زينب الحوراء في بيت لا شيء فيه من الدنيا وزخرفها ، وفيه من التقى والصلاح كل شيء .. رأت النور في هذا البيت الطاهر الذي ضم اباها سيد الوصيين ، وامها سيدة نساء العالمين ، واخويها ريحانتي رسول رب العالمين .. استقبل بيت فاطمة ابناءه الثلاثة في ثلاث سنوات: الحسن سنة ٣ هـ . والحسين سنة ٤ . وزينب سنة ٥ .

وكان النبي (ص) لا يصبر عن بيته هذا ، ولا يشغله عنه شاغل ، بخاصة بعد ان نبتت فيه رياحينه .. فاذا دخله قبل هذا ، وشم ذاك ، وابتسم لتلك .. ودخله ذات يوم فاخذ الحسن وحمله ، فاخذ علي الحسين وحمله ، فاخذت فاطمة زينب وحملتها (البحار ج ١٠ ص ٥٨) فاهتزت اركان البيت طرباً لجو الصفوة المختارة ، وابتهاج الرسول بآله، وابتهاجهم به .. وتدلنا هذه الظاهرة وكثير غيرها ان محمداً كان اكثر الانبياء غبطة وسعادة بأهل بيته ، كما انه كان اشدهم بلاء بقومه من امثال أبي جهل وابي سفيان .

ولدت الحوراء في هذا البيت ، حيث كان النبي يبتهج ، وينعم فيه بالسكينة والاطمئنان ، ورضعت من ثدي الطهر ، من بضعة الرسول الاعظم ، ودرجت مع اخويها سيدي شباب اهل الجنة ، واخذت العلم عن ابيها باب مدينة العلم ، ثم خرجت من هذا البيت لتستقبل ما تخبئه لها

الايام بصدر اوسع من الفضاء ، وقلب اثبت من الجبال الراسيات ..وليس هذا بغريب من السيدة الحوراء ما دام البيت الذي نشأت فيه يتجه بهـا الى سبيل خاتم النبيين ، وسيد المرسلين .

وقد روى الرواة ان امرأة اصلها من الهند تسمى فضة كانت تختلف وتتردد الى بيت فاطمة تعينها على بعض الاعمال البيتية ، وانها اصبحت بعد ذلك من القانتات الصالحات ، فكيف بمن كان من هذا البيت فـي الصميم ؟.. ومما يحكى عن فضة هذه انها بقيت بعد سيدتها فاطمة عشرين عاماً لا تتكلم الا بالقرآن ..

قال صاحب البحار في الجزء العاشر ص ٢٦ :

ان فضة حجت مع اربعة من اولادها ، وانقطعت في الطريق عن القافلة، فرآها رجل من عرب البادية ، وقبل ان يسلم قال لها :

من انت ؟.

فتلت قوله تعالى : « وقل سلام فسوف تعلمون » ٨٩ الزخرف.
فسلم الرجل ، وقال : ما تصنعين هنا ؟.
فتلت : « ومن يضلل الله فما له من هاد » ٣٦ الزمر .
فقال : أمن الجن انت ام الانس ؟.
فتلت : « يا بني آدم خذوا زينتكم » ٣١ الاعراف .
قال : اين تقصدين ؟.
فتلت : « ولله على الناس حج البيت » ٩٧ آل عمران .
قال : متى انقطعت عن القافلة ؟.
فتلت : « وخلقنا السموات والارض في ستة ايام » ٧ الاعراف .
قال : اتشتهين طعاماً ؟.

فتلت : « وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام » ٨ الانبياء .
فاطعمها ، ثم قال لها : عجلي بالسير معي .
فتلت : « لا يكلف الله نفساً الا وسعها » ٢٨٦ البقرة .
فقال : اردفك خلفي على الناقلة .
فتلت : « لو كان فيهما آلهة الا الله . لفسدتا » ٢٢ الانبياء .
فنزل واركبها .
فتلت : « سبحان الذي سخر لنا هذا » ١٣ الزخرف .
وحين ادرك الركب قال لها : ألك احد فيه ؟ .
فتلت : « وما محمد الا رسول » . « يا يحيى خذ الكتاب » .
« ياموسى اني انا الله . « يا داود انا جعلناك خليفة في الارض . »
فصاح الرجل بهذه الاسماء ، فأتى اربعة شباب ، فقال لها : من هؤلاء ؟ .

فتلت : « المال والبنون زينة الحياة الدنيا » ، ثم التفتت الى ابنائها الاربعة ، وتلت : « يا ابت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين » . فاعطوه بعض الشيء ، فاستقلته فضة ، وتلت : « والله يضاعف لمن يشاء » فزادوه . وسأل الرجل الشباب الاربعة عن عادة امهم هذه ؟ فقالوا : هذه فضة جارية الزهراء ، وما تكلمت الا بالقرآن منذ ٢٠ عاماً .

بقيت زينب مع امها ست سنوات ، ويقول علماء النفس التربوي : ان الطفل بعد ان يتم الثالثة تبدأ مرحلة التوافق بينه وبين بيئته . والتمييز بين الالفاظ والمعاني ، وان نموه العقلي في هذه السن يتجه بصاحبه الى كشف ما يحيط به مما يرى ويسمع ، وان هذا الكشف يترك آثاراً تعمل عملها في نفس الطفل الى آخر يوم في حياته .. وكانت زينب ترى — في هذه المرحلة — امها فاطمة تقوم للصلاة ، حتى تتورم قدماها ؛ وتبيت على

الطوى هي وصغارها . وتطعم الطعام مسكيناً ويتيماً واسيراً . وتلبس الثياب الخلقة ؛ وتكسو الفقراء جديد الملابس ..

رآها سلمان الفارسي مرة ، فبكى ، وقال : ان قيصر وكسرى في السندس والحرير ، وابنة محمد في ثياب بالية .. وروي انه كان عند علي وفاطمة جلد كبش ، وان فاطمة كانت تعلف عليه البعير في النهار . فاذا كان الليل افترشته هي وعلي .. اما صدقها فقد نقل صاحب « الاستيعاب » ج ٤ في ترجمتها عن عائشة انها قالت : « مارأيت احداً اصدق لهجة من فاطمة الا ان يكون والدها » (١) وبكلمة ان زينب رأت جدها الرسول ممثلا في امها فاطمة بجميع صفاته ومزاياه ، وتجلت هذه الحقيقة فيما قالته ، وهي ترثي والدتها . « يا ابتاه يا رسول الله الآن حقاً فقدناك فقداً لا لقاء بعده » .

وقد انعكست صفات الزهراء في نفس ابنتها زينب ، وظهرت جلية واضحة في زهدها وعبادتها وصبرها وجرأتها ، قال الرواة ان زينب بنت امير المؤمنين لم تدخر شيئاً من يومها لغدها ، وانها كانت تقضي عامة لياليها بالتهجد وتلاوة القرآن ، حتى ليلة العاشر من المحرم ، وهي الليلة التي قتل الحسين في صبيحتها ، وليلة الحادي عشر ، حيث كان اخوها الحسين واولاده واصحابه صرعى مجزرين كالاضاحي ، حتى في هذه الحال لم تدع صلاة الليل والتعبد والتهجد .. اما صبرها وشجاعتها ، فسنتكلم عنهما مفصلا في الصفحات الآتية .

---

(١) مع ان ابا بكر والد عائشة طلب البينة من الصديقة الزهراء على انها تملك فدكا .

جعفر الطيار

بيت ابي طالب

ان من نعم الله وفضله على الانسانية ان ارسل محمداً رحمة للعالمين، وان من بالغ حكمته وتدبيره تبارك وتعالى ان عزز محمداً ورسالته ببيت عمه ابي طالب ، ولو بعث الله محمداً الى صناديد قريش وعتاتهم ، ولا ظهير له من قومه كابي طالب وزوجته واولاده لكانت حال الرسول كحال جيش يقاتل بدون عتاد وسلاح .. ومن قبل قال الجاحدون لنبيهم شعيب: « ولولا رهطك لرجمناك ، وما انت علينا بعزيز ـ ٩١ هود ».

ولولا بيت ابي طالب لكان مصير محمد كمصير زكريا ويحيى وغيرهما من الانبياء الذين قتلهم الاسرائيليون قبل ان تنمو رسالتهم ، وتنتشر .. وقف ابو طالب بجانب ابن اخيه محمد ، واعلن انه سيمنع عنه كل من تحدثه نفسه بالاساءة اليه ، والنيل منه ، واوقفت زوجته فاطمة بنت اسد نفسها لخدمته منذ اليوم الاول الذي مات فيه جده عبد المطلب، وسارع علي وجعفر الى تصديقه ونصرته ، ومهما تقوّل المتقولون . وتأول المتأولون فلا يسعهم الا الاعتراف بان بيت ابي طالب كان اول نواة في حقل الاسلام ، واول قوة دعمت الاسلام ونبي الاسلام ، لقد تحدى رسول الله صناديد قريش ، فسب آلهتهم ، وسفه احلامهم ، ولعن الطغاة والاغنياء

الذين يكنزون المال ؛ ولا ينفقونه على الفقراء •• ولا جزاء عندهم لمن فعل هذا او دون هذا الا القتل ، ولكن من يجرؤ على رسول الله ؛ وبيت ابي طالب بالمرصاد ؟••

وسبقت منا الاشارة الى ابي طالب وزوجته ، والآن تتحدث بشيء من التفصيل عن جعفر الطيار ، لانه ابو عبدالله زوج السيدة الحوراء •

اسلامه

لم يسبق جعفر بن ابي طالب احد الى الاسلام الا خديجة زوجة الرسول ، واخوه علي ، فكان جعفر ثالث المسلمين والمصلين ••

ومضى امد غير قصير ، ولا احد يعبدالله سبحانه سوى محمد وعلي وخديجة وجعفر ، فكان النبي يتقدمهم للصلاة ، ويقف علي عن يمينه ، وجعفر عن يساره ، وخديجة خلفه •• وروي ان ابا طالب رأى النبي وعلياً يصليان ، فامر ولده جعفر ان ينضم اليهما ، ووصف جعفر بأنه صلى الى القبلتين ، وهاجر الهجرتين ، وصاحب الجناحين [1] •

اخلاقه :

قال رسول الله لجعفر : « اشبهت خَلقي وخُلقي ، وكان يكنيه ابا المساكين ، لانه خير الناس لهم ، وعن ابي هريرة انه قال : كنت اسأل الرجل من اصحاب رسول الله عن الآية من القرآن ، انا اعلم بها منه ، ما

---

(١) القبلتان هما بيت المقدس ، والكعبة ، والهجرتان ، الى الحبشة ، المدينة ، والجناحان اشارة الى حديث « ان الله ابدل جعفراً عن يديه بجناحين يطير بهما بالجنة » وفي بعض المؤلفات وبايع البيعتين ، وهو اشتباه ، لان بيعة الرضوان والشجرة كانت في الحديبية ، وكان جعفر غائبا عنها •

اسأله الا ليطعمني شيئاً ، وكنت اذا سألت جعفر بن ابي طالب لم يجبني، حتى يذهب بي الى منزله ، فيطعمني ، ثم يجيبني •

وروي عن جعفر انه كان يقول : ما شربت خمراً قط . لاني علمت إن شربتها زال عقلي ، وما كذبت قط ، لان الكذب ينقص المروءة ، وما زنيت قط ، لاني خفت اني اذا عملت عمل بي ، وما عبدت صنماً قط ، لاني علمت انه لا يضر ولا ينفع •

منزلته عند الله ورسوله

في نهج البلاغة ان الامام ارسل كتاباً لمعاوية جاء فيه :

الا ترى ــ الخطاب لمعاوية ــ غير مخبر لك ، ولكن بنعمة الله أحدث ان قوماً استشهدوا في سبيل الله من المهاجرين ، ولكلٍ فضل ، حتى اذا استشهد شهيدنا ــ الحمزة ــ قيل سيد الشهداء ، وخصه رسول الله (ص) بسبعين تكبيرة عند صلاته عليه ، او لا ترى ان قوماً قطعت ايديهم في سبيل الله ، ولكلٍ فضل ، حتى اذا فعل بواحدنا ــ جعفر ــ ما فعل بواحدهم قيل الطيار في الجنة ، وذو الجناحين ، ولولا ما نهى الله عنه من تزكية المرء نفسه لذكر ذاكر فضائل جمة ، تعرفها قلوب المؤمنين ، ولا تمجها آذان السامعين » •

اجل ، لا ينفر من اريج المسك الا الجعل ، ولا يعمي نور الشمس الا عيون الخفافيش ،ولا يجد طعم العسل مراً الا ذوو الاسقام والامراض•

وفي الحديث ان رسول الله قال : « ان الله اختارني في ثلاثة من اهل بيتي ، انا سيد الثلاثة : اختارني وعلياً وجعفراً وحمزة ، وفي الجزء الثاني من « الاستيعاب » ترجمة جعفر بن ابي طالب ان النبي قال : « دخلت

البارحة الجنة فاذا جعفر يطير مع الملائكة ، واذا حمزة مع اصحابه » .
وحين قدم جعفر من الحبشة قال النبي : ما ادري بايهما انا اشد فرحاً بقدوم جعفر ، او بفتح خيبر ، وقبل ما بين عينيه .

الهجرة الى الحبشة

قال صاحب السيرة النبوية القسم الاول ص ٣٢١ طبعة ١٩٥٥ .

« لما رأى رسول الله ما يصيب اصحابه من البلاء ، وما هو فيه من العافية ، بمكانه من الله ، ومن عمه ابي طالب ، وانه لا يقدر على ان يمنعهم مما هم فيه من البلاء ، قال لهم : لو خرجتم الى ارض الحبشة ، فان بها ملكاً لا يظلم عنده احد ، وهي ارض صدق . حتى يجعل الله لكم مما انتم فيه ، فخرج عند ذلك المسلمون من اصحاب الرسول الى أرض الحبشة ، مخافة الفتنة ، وفراراً الى الله بدينهم ، فكانت اول هجرة في الاسلام » .

امتثلوا امر الرسول . وذهبوا الى الحبشة ، وكان فيمن هاجر اليها جعفر الطيار ، وزوجته اسماء بنت عميس ، وولدت له هناك عبدالله وعوناً ومحمدا . ولقي المسلمون من النجاشي ملك الحبشة حسن الجوار والضيافة .

ولما رأت قريش انهم قد امنوا بأرض الحبشة ، واصابوا اماناً واطمئناناً ، جمعوا للنجاشي وبطارقته هدايا ، وبعثوا بها مع عمرو بن العاص ، وعمارة بن الوليد اخ خالد بن الوليد ، ليرد النجاشي المسلمين الى المشركين .

« وصحب عمرو بن العاص في رحلته زوجة دخل عليها مذ قليل ..

وهي امرأة جميلة فاتنة للالباب لعوب ، لم يكن عمرو يطيق ان يبتعد عنها •• وفي الطريق الى النجاشي رأت امرأة عمرو عمارة ، وتحدثت اليه•• فشغفها حباً •• وذات ليلة هجرت زوجها عمرو بن العاص ، وارتمت في فراش ابن الوليد •• ولم تعد الى عمرو الا بشرط ان تتردد بينه وبين ابن الوليد •

وسبقت انباء هذه الفضيحة الى النجاشي ، والى المهاجرين، فلم تنفع حيلة لعمرو بن العاص ، ورد النجاشي الرسل الى قريش خائبين ، وظل على كرمه مع المهاجرين اليه •• أما المسلمون في قريش فقد تلقوا عمرو بالسخرية ، وعلموه ان الاسلام وحده هو الذي كان يمكن أن يعصم امرأته ويعصمه من مثل هذا الهوان » • [1]

ورجع جعفر الطيار ومن معه من المسلمين الى المدينة سنة ٧ هـ فصادف رجوع النبي (ص) من خيبر ، فقال : ما ادري بايها انا اشد فرحاً بقدوم جعفر او بفتح خيبر ، وقبل ما بين عينيه •• وقال له : انت اشبه الناس بخلقي وخلقي ، وخلقت من الطينة التي خلقت منها • (ذخائر العقبى للمحب الطبري ص ٢١٤ و ٢١٥ طبعة سنة ١٩٥٦) •

استشهاده

في سنة ٨ هـ بعث رسول الله احد اصحابه : وهو الحارث بن عمير بكتاب الى ملك بصرى بارض الشام ، فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل

---

(١) ذكر اصحاب السير والتواريخ قصة عمارة وزوجة عمرو ، وان النجاشي جمع بين الرسولين وبين المسلمين ، وتكلم جعفر عن دعوةالرسول ومحاسن الاسلام ، وكانت النتيجة ان طرد النجاشي الرسول ، وزاد في اكرام المسلمين ، وقد آثرت نقل هذه العبارة من كتاب « محمد رسول الحرية » لعبد الرحمن الشرقاوي ، لجمعها واختصارها .

الغساني احد ولاة الروم ،فاوثقه ثم ضرب عنقه ، ولم يقتل غيره من بعوث رسول الله ، فاشتد ذلك على رسول الله ، وجهز جيشاً من ثلاثة آلاف ، وامر عليهم جعفر الطيار ، فان قتل فزيد بن حارثة ، فان قتل فعبدالله بن رواحة ، وانطلق الجيش الى مشارف الشام ، فجمع له الروم مئة الف مقاتل ، وقيل : مئتا الف ، واخذ الراية جعفر ، واقبل على الروم يجالدهم بعنف ، فقطعت يمينه ، فأخذ اللواء بشماله فقطعت ، فاحتضن الراية بعضديه ، حتى قتل •

وروي انه حين اشتد القتال ، نزل عن فرسه ، وعقرها فكان اول رجل عقر فرسه في الاسلام ، وقاتل وهو يقول :

يا حبذا الجنة واقترابها طيبة وبارد شرابها
والروم روم قد دنا عذابها كافرة بعيدة انسابها
علي اذ لاقيتها ضرابها

وبعد ان استشهد وجدوا في مقدم جسده الشريف اكثر من تسعين ضربة وطعنة •

هذا هو بيت ابي طالب ، وهذه ابناؤه ، فمنذ اليوم الذي نبتت فيه بذرة الاسلام الى آخر يوم من ايام العباسيين عانى التجويع والسجن والحصر في شعب مكة المكرمة ، والتشريد في ارض الحبشة ، ومجابهة الموت بالمبيت الى فراش الرسول ، والجهاد في بدر وأحد والاحزاب ، وفي جميع غزوات الرسول وحروبه ، والقتل في أرض الشام والعراق ، وفي كل مكان •• كل ذلك من اجل الاسلام ، وكلمة « لا اله الا الله محمد رسول الله » ورغم ذلك فابو طالب غير مسلم • ولماذا ؟•• لانه ابو علي ••

وتحدث الرسول عن شهداء مؤتة [1] وبخاصة جعفر الطيار وقال : ان الجوار الذي صاروا اليه احب الى نفوسهم ، واقرّ لعيونهم من الدنيا وما فيها ومن فيها ، اما ابناؤهم وعيالهم ففي كفالة الله ، وهو نعم المولى ، ونعم النصير .

قال عبدالله بن جعفر : جاءنا النبي بعد موت ابي ، وقال : لا تبكوا على اخي بعد اليوم ، ودعا بالحلاق فحلق رؤوسنا وقال : اما محمد فشبيه عمنا ابي طالب ، واما عبدالله فشبيه خَلقي وخُلقي ، ثم اخذ بيدي. وقال : اللهم اخلف جعفراً في اهله ، وبارك لعبدالله في صفقة يمينه ، ولما ذكرت امي يتمنا قال لها : لا تخافي عليهم أنا وليهم في الدنيا والآخرة (فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي ص ٢٨١ بعنوان غزوة مؤته) .

وكفى بالرسول الاعظم ولياً ، وهل يبغي ابو طالب وآل ابي طالب سوى ولاية الله ورسوله ؟.

واختلف المؤرخون في عمر جعفر الطيار ، فمن قائل : انه استشهد ابن ٣٨ ، وقائل ٤١ .

عبدالله بن جعفر

كان لجعفر الطيار ثلاثة ذكور : عبدالله ، وبه يكنى . ومحمد،وعون. ولدوا كلهم في ارض الحبشة ، وامهم اسماء بنت عميس ، ومحمد بن ابي بكر اخوهم لأمهم .

وصحب عبدالله النبي ، وحفظ الحديث عنه ، ولازم عمه امير المؤمنين والحسنين ، واخذ عنهم العلم .

---

[1] مؤتة قرية في الاردن ، وفيها مقام لجعفر الطيار مزور ومشهور.

وكان اغنى بني هاشم وايسرهم ؛ وكانت له ضياع كثيرة ؛ ومتاجر واسعة .

وكان اسخى رجل في الاسلام ، وله حكايات في الجود كثيرة وعجيبة ، منها ان احد الخلفاء ارسل له ثلاثة ملايين درهماً ، ففرقها جميعاً على الفقراء ، وزاد عليها من ماله . وله مواقف مع معاوية عرفه فيها مكانه وحقيقته ، نقلنا بعضها في كتاب « الشيعة والحاكمون » .

وعن الشعبي ان عبدالله دخل على معاوية ؛ وعنده يزيد ، فجعل يزيد يعرض بعبدالله في كلامه ، وينسبه الى الاسراف ، فقال عبدالله ليزيد : اني لأرفع نفسي عن جوابك ، ولو قالها صاحب السرير لاجبته ، فقال معاوية: كأنك تظن انك اشرف منه ؟

قال عبدالله : اي والله ، ومنك ومن ابيك ، وجدك .

فقال معاوية : ما كنت احسب ان احداً في عصر حرب بن امية اشرف منه .

فقال عبدالله : بلى والله . ان اشرف منه من اكفأ عليه إناءه ، واجاره بردائه .

قال : صدقت ، يا ابا جعفر [1] .

---

(١) زينب الكبرى لجعفر نقدي ص ٨٩ طبع النجف .

الـــزواج

قالوا : « أن الفرس العتيق هو الذي ينحدر من آباء لا هجنة فيها » . كذلك الاسر الطيبة الطاهرة العريقة في التقى والقداسة تخشى الهجنـة اذا زوجت ابناءها وبناتها بمن دونها فضلا وصلاحاً .

حين بلغت الزهراء مبلغ الزواج كثر طلابها ، فرفضهم النبي جميعاً ، لعدم الكفاءة ، وزوجها علياً ، لانها منه ، وهو منها ، وهما من النبي في الصميم . ونفس الشيء حصل لابنتها الحوراء ، طلبها كثيرون ، فردهم الامام ، وزوجها ابن اخيه عبدالله ، ومن اولى بها منه ، وهو ابن عمهـا للاب والام ، وسبق ابوه جعفر الطيار الى الاسـلام ، وهاجر وجاهـد وأستشهد في سبيله .

شرف المصاهرة

واذا كان الاقتران بنسل الرسول شرفاً وكرامة ، فآله اولى النـاس بهذا الحق ، لانه لهم ومنهم وفيهم ، وقد روي ان النبي (ص) نظر الـى اولاد علي وجعفر ، وقال : « بناتنا لبنينا ، وبنونا لبناتنا » . واذا لـم يكن النبي جداً لاولاد جعفر فانه لهم بمنزلة الاب والجد ، وهو وليهـم في الدنيا والآخرة ، ولا شيء احب الى الجد من اقتران احفاده بعضهم ببعض ، لان في ذلك تأكيداً لنسله وامتداداً لنوع من وجوده .

حياتها الزوجية

لم يتحدث المؤرخون واصحاب السير عن حياة السيدة زينب مع زوجها عبدالله ، وكل ما ذكروه انه رزق منها اربعة ذكور وانثى ..

وعن اي شيء يتحدث المؤرخون في هذا الباب ؟.. هل يتحدثون عن نزاعها وشقاقها مع زوجها ، او مع الجيران ، او عن وضعها الاحاديث على لسان جدها في فضلها وفضل أبيها ، او عن تحزبها الاحزاب وركوب الجمال والبغال ؛ او يتحدثون عن مظاهر الابهة وعدد الجواري والعبيد؛ او عن رحلات النزهة وشم النسيم ، او مجالس الانس والطرب ؟.

لقد اكتفت الحوراء بذكر الله عن ذكر الناس ، والقيل والقال ؛ وصرفها القيام بين يدي الله ؛ والانقطاع اليه عن كل شيء .. فكان بيتها بيت العبادة والتهجد وتلاوة القرآن :

منازل كانت للرشاد وللتقى ‍‍ وللصوم والتطهير والصلوات

قالت بنت الشاطيء :

« لم يفرق الزواج بين زينب وابيها واخوتها ؛ فقد بلغ من تعلق الامام علي بابنته وابن اخيه ان ابقاهما معه ؛ حتى اذا ولي أمر المسلمين، وانتقل الى الكوفة انتقلا معه ، فعاشا في مقر الخلافة موضع رعاية امير المؤمنين واعزازه ، ووقف عبدالله بجانب عمه في نضاله الحربي ؛ فكان اميراً بين امراء جيشه في صفين » .

وكيف يصبر الامام عن جوهرته الكريمة ، وقد رأى فيها مثاله وطبائعه وجميع شمائله ؟.. فلقد روى الرواة انها كانت تنطق بلسان ابيها اذا تكلمت . ونقل الشيخ النقدي عن النيسابوري « انها كانت في

فصاحتها وبلاغتها ، وزهدها وعبادتها كابيها المرتضى وامها الزهراء » •

وليست الفصاحة والبلاغةوالزهد والعبادة كل ما لعلي من اوصاف•• كلا ثم كلا ، ان صفات ابيها علي لا تدركها عقولنا نحن ، وما كان لاحد ان يدركها او يحيط بها الا الانبياء والاوصياء ، ولست ادري : هل يتطور العقل البشري في المستقبل ، ويبلغ مرتبة تؤهله لتفهم هذه الشخصية على حقيقتها ومن جميع جهاتها ؟••

اولادها

ولد لعبدالله بن جعفر من السيدة زينب اربعة ذكور ، وانثى ، وهم علي المعروف بالزينبي ، ومحمد ، وعباس وعون وام كلثوم ، وهي التي خطبها معاوية لولده يزيد ، فزوجها خالها الحسين (ع) من ابن عمها القاسم ابن محمد بن جعفر بن ابي طالب (اعيان الشيعة ج ٣٣ ص ١٩١ طبعة ١٩٥٠) •

ومحمد وعون قتلا مع خالهما الحسين بكربلاء ، برز عون للقتال، وهو يقول :

ان تنكروني فانا ابن جعفر   شهيد صدق في الجنان ازهر
يطير فيها بجناح اخضر   كفى بهذا شرفاً في المحشر

هؤلاء آل ابي طالب كباراً وصغاراً ، اذا عملوا عملوا ليوم المحشر والخلود : واذا افتخروا افتخروا بالشهداء والصديقين ، واذا انتقموا انتقموا لله لا لأنفسهم ، ولذا كان لهم عند المسلمين حق المودة والولاء ، وعند الله سبحانه الكرامة والرضوان ••

وقتل عون من الاعداء ثلاثة فوارس ، وثمانية عشر رجلا ، ثم ضربه

عبدالله بن قطنه الطائي فقتله ، ولما خرج المختار قبض على ابن قطنـــة ، وقتلـــه .

وبرز محمد ، وهو يقول :

اشكو الى الله من العــدوان فعال قوم في الردى عميان
قـــد بدلوا معـــالم القـــرآن ومحكم التنزيل والتبيـــان

وقتل من الاعداء عشرة انفس ، وحمل عليه ابن نهشل التميمي فقتله .

ولما ورد نعي الحسين ونعي محمد وعون الى المدينة كان عبدالله بـــن جعفر جالساً في بيته ، فدخل عليه الناس يعزونه ، وكان له غلام اسمـــــه ابو السلاس ، فقال ماذا لقينا من الحسين ؟.. فحذفه عبدالله بنعله ، وقال له : يا ابن اللخناء .. أللحسين تقول هـــذا .. والله لو شهدته لما فارقته، حتى اقتل معه ، وقد هون علي مصابهما انهم قتلا مع اخي وابن عمـــي مواسيين له صابرين معه ، ثم قال : الحمد لله ، لقد عز علي مصرع الحسين، واذا لم اكن قد واسيته بيدي ، فقد واسيته بولدي ..

وقد تساءل البعض عن عدم خروج عبدالله بن جعفر مع الحسين ؟.

واعتذر عنه جماعة باعذار لا تعدو الحدس والتخمين . وقال بعضهم: ان بصره كان مكفوفاً يومئذ

والذي نعتقده ان عبدالله بن جعفـــر كان مطيعاً للامامـــين الحسن والحسن بعد عمه ، وانه لم يخالف لهما امراً ، لا في السر ولا في العلانية، وقد رأيناه يترك امر زواج ابنته ام كلثوم لخالها الحسين ، حين طلبهـــا معاوية لولده يزيد، كما ترك امر خروج زوجته زينب اليه واليها ، وهو الذي امر ولديه عوناً ومحمـــداً بالخروج مع خالهما ولكن الحسين(ع) لم

يلزمه بالخروج ولم يوجب عليه ذلك ، بل ترك له الخيار ، وقد رأى ان بقاءه في المدينة اصلح ، لأعتبارات نجهلها نحن ، ويعذر هو فيها ، ولو ان الحسين اوجب عليه الخروج لاسرع الى الاجابة ؛ وليس من شك انه مأجور ومشكور عند الله والناس على رضاه واغتباطه باستشهاد ولديه بين يدي الامام .

وان سيرته ومواقفه بعد الحسين لأصدق دليل على ايمانه واخلاصه وصدقه في المتابعة والولاء لعمه وابنائه ، وعن كتاب المحاسن والمساويء للبيهقي ان عبدالله بن عباس وعمرو بن العاص كانا في مجلس معاوية ، فعرض عمرو بعبدالله بن جعفر ، ونال منه ، فقال ابن عباس :

« ليس كما ذكرت ، ولكنه لله ذكور ، ولنعمائة شكور ، وعن الخنى زجور ، جواد كريم ، وسيد حليم .. لا يدعى لدعي — يعرض بابن العاص — ولا يدنو لدني ، كمن اختصم فيه من قريش شرارها فغلب عليه جزارها — كما حدث لابن العاص — فاصبح ألأمها حسباً ، وادناها منصبا .. وليت شعري باي قدم تتعرض للرجال ؟!.. وباي حسب تبارز عند النضال ؟!.. ابنفسك وانت الوغد الزنيم ؟!.. ام بمن تنتمي اليه، فاهل السفه والطيش والدناءة في قريش ، لا بشرف في الجاهلية اشتهروا، ولا بقديم في الاسلام ذكروا .. »

وضع الاحاديث والاخبار

اما ما جاء في بعض الكتب من ولع عبدالله بن جعفر بالقيان والغناء فهو اما افتراء لا اصل له ولا اساس ، واما مبالغ فيه بقصد النيل من مقام امير المؤمنين ، لانه ابن اخيه ، وزوج ابنته .. على طريقة السلف الطالح من امثال الامويين واذنابهم الذين يضعون لهم الاحاديث والاخبار في علي واولاده واحفاده بعد ان يقبضوا الثمن .

من ذلك ، وعلى سبيل المثال ، حديث « ان ولدي الحسن سيصلح الله به بين فئتين من المسلمين » •• وضعه معاوية ليثبت به اسلامه ، واسلام من كان معه في صفين ؛ وينفي عنه وعنهم البغي الذي دمغهم بـه حديث « عمّار تقتله الفئة الباغية » • [1]

ومنه الخبر المفترى على الامام الحسن (ع) انه كان اذا رأى جمعاً من النسوة يقول لهن : من منكن تأخذ ابن بنت رسول الله ؟•• فيجبنه بصوت واحد : كلنا مطلقات ابن بنت رسول الله •

واي عاقل يجيز مثل هذا على الامام الزكي الذي له عقل جده محمد، وابيه علي ؟!•• أي عاقل يصدق ان الامام الحسن كان يقف على قارعة الطريق ، وينادي معلناً عن رغبته في الزواج والنكاح ؟!••واغرب من كل ذلك جواب النسوة : كلنا مطلقات ابن بنت رسول الله •• متى تزوج بهذه الكثرة والعدد ؟!•• ومتى طلقهن ؟!•• وكيف خفين عليه ، وبالامس كنّ في بيته وفي جملة عياله ؟!••

حقاً ان واضع هذه الاكذوبة قد بلغ من الحمق والرعونة اقصى الحدود •• واجهل منه واغبى من يصدقه ، ويروي اخباره •

ومن ذلك اخبار السيدة سكينة مع اشعب الطماع وغيره من المغنين والمخنثين •• الى كثير من الاكاذيب والافتراءات التي حاكتها الفئة الباغية بشهادة رسول الله ، والشجرة الملعونة في كتاب الله •

---

(١) ذكرت ذلك في بعض مؤلفاته السابقة ، واعدته هنا ، لتعم الفائدة .

المصائب والأحزان

شاءت الاقدار ان تلقي بالسيدة الحوراء في احضان المصائب والاحزان منذ الطفولة الى آخر يوم في حياتها .. فمن يقف على سيرتها يجد سلسلة من حلقات متصلة من الآلام منذ البداية ، حتى النهاية .

وأي انسان خلت او تخلو حياته من الهموم والاكدار ، حتى اصحاب السلطان والجاه والثراء لا منجاة لهم من ضربات الزمان ، وطواريء الحدثان .. وقديماً قيل : اذا انصفك الدهر فيومان : يوم لك ويوم عليك . ومن الذي حقق جميع رغباته ، ولم يفقد قريباً من اقربائه ، وعزيزاً من اعزائه .

ولكن من غير المألوف والمعروف ان يعيش « انسان » في خضم من المحن والارزاء ، كما عاشت السيدة زينب التي انهالت عليها الشدائد من كل جانب الواحدة تلو الاخرى ، حتى سميت ام المصائب ، واصبحت هذه الكنية علماً خاصاً بها .

فقد شاهدت وفاة جدها رسول الله ، وتأثيرها على المسلمين بعامة ، وعلى امها وابيها ، واهل بيتها بخاصة . قال امير المؤمنين : « نزل بي من وفاة رسول الله (ص) ما لم اكن اظن الجبال لو حملته عنوة كانت تنهض به .. ورأيت الناس من اهل بيتي ما بين جازع لا يملك جزعه . ولا

يضبط نفسه ، ولا يقوى على حمل فادح نزل به ، قد اذهب الجزع صبره، واذهل عقله ، وحال بينه وبين الفهم والافهام والقول والاسماع » •

وطبيعي ان يصيب اهل البيت هذا ، واكثر منه ، فان تأثير المصاب بالفقيد ، اي فقيد يقاس بقدره وقيمته ••

وكفى الرسول عظمة ان يقترن اسمه باسم الله ، ولا يقبل الايمان والاعتراف بالله الواحد الاحد الا مع الأعتراف والأيمان برسول الله محمد ••

هذا ، الى ان النبي (ص) كان قد حدث اهل بيته بكل ما يجري عليهم من بعده ، وكرره اكثر من مرة على مسامعهم تصريحاً وتلويحاً ، حتى ساعة الوفاة كان ينظر الى وجوههم ويبكي ، ولما سئل قال : ابكي لذريتي ، وما تصنع بهم شرار أمتي من بعدي •

شاهدت زينب وفاة جدها الرسول . وما تركه من آثار ، وشاهدت محنة امها الزهراء . وندبها لأبيها في بيت الأحزان ، ودخول من دخل الى خدرها . وانتهاك حرمتها ، واغتصاب حقها ، ومنع ارثها ، وكسر جنبها ، واسقاط جنينها ، وسمعتها . وهي تنادي فلا تجاب ، وتستغيث فلاتغاث•• وكلنا يعلم علاقة البنت بالأم ، وتطلعها اليها ، وتأثرها بها تلقائياً وبدون شعور •

وشاهدت قتل ابيها امير المؤمنين ، واثر الضربة في رأسه ، وسريان السم في جسده الشريف . ودموعه الطاهرة الزكية تفيض على خديه ، وهو يقلب طرفه بالنظر اليها ، والى اخويها الحسنين •

وشاهدت اخاها الحسن اصفر اللون يجود بنفسه ، ويلفظ كبده قطعاً من اثر السم [1] ورأت عائشة تمنع من دفنه مع جده ، وتركب بغلة،

---

(١) روي انه لما وضع الطشت بين يدي الحسن ، وهو يقذف كبده سمع ان اخته زينب تريد الدخول عليه امر برفع الطشت اشفاقاً عليها .

وتسيح ، والله لا يدفن الحسن هنا ابداً .

اما ما شاهدته في كربلاء ، وحين مسراها الى الكوفة والشام مع العليل والنساء والاطفال فيفوق الوصف ، وقد وُضعت فيه كتب مستقلة.

هكذا كانت حياة السيدة ، وبيئتها من يومها الاول الى آخر يوم؛ حياة مشبعة بالاحزان ، متخمة بالآلام لا تجد منها مفراً ، ولا لها مخرجاً.

وبعد هذه الاشارة نقف قليلا لنرى كيف قابلت السيدة هذه الصدمة والاحداث الجسام : هل اصابها ما يصيب النساء في مثل هذه الحال من الاضطراب واختلال الاعصاب ؟.. هل هيمنت عليها العاطفة العمياء التي لا يبقى معها اثر لعقل ولا دين ؟.. وبالتالي ، هل خرجت عن حدودالاتزان والاحتشام ؟.. حاشا بنت النبي وفاطمة وعلي ، واخت الحسنين .وحفيدة ابي طالب ان تنهزم امام النكبات ، وتستسلم للضربات .. حاشا النفس الكبيرة ان تتمكن منها العواطف ، او تزعزعها العواصف .. فلقد تحولت تلك المحن والمصائب بكاملها الى عقل وصبر وثقة بالله ، وكشفت كل نازلة نزلت بها عن معنى من اسمى معاني الكمال والجلال ، وعن سر من اسرار الايمان النبوي المحمدي ، ان اعتصامها بالله ، وايمانها به تماماً كايمان جدها رسول الله .

وليس في قولي هذا اية شائبة من المغالاة ما دمت اقصد الايمان الصحيح الكامل الذي لا ينحرف بصاحبه عن طاعة الله ومرضاته مهما تكن الدوافع والملابسات .. وأي شيء ادل على هذه الحقيقة من قيامها بين يدي الله للصلاة ليلة الحادي عشر من المحرم ، ورجالها بلا رءوس على وجه الارض تسفي عليهم الرياح ، ومن حولها النساء والاطفال في صياح وبكاء ، ودهشة وذهول ، وجيش العدو يحيط بها من كل جانب .. ان صلاتها في مثل هذه الساعة تماماً كصلاة جدها رسول الله في المسجد

الحرام ، والمشركون من حوله يرشقونه بالحجارة ، ويطرحون عليه رحم شاة ، وهو ساجد لله عز وعلا ، وكصلاة ابيها امير المؤمنين في قلب المعركة بصفين ، وصلاة اخيها سيد الشهداء يوم العاشر ، والسهام تنهال عليه كالسيل .

ولا تأخذك الدهشة ـ ايها القارىء ـ اذا قلت : ان صلاة السيدة زينب ليلة الحادي عشر من المحرم كانت شكراً لله على ما انعم ، وانها كانت تنظر الى تلك الاحداث على انها نعمة خص الله بها اهل بيت النبوة من دون الناس اجمعين ، وانه لولاها لما كانت لهم هذه المنازل والمراتب عند الله والناس .. ولا يشك مؤمن عارف بان اهل البيت لو سألوا الله سبحانه دفع الظلم عنهم ، وألحوا عليه في هلاك الظالمين لاجابهم الى ما سألوا ، كما لا يشك مسلم بان رسول الله لو دعا على مشركي قريش لاستجاب دعاءه [1] .. ولكنهم لو دعوا واستجاب لم تكن لهم هذه الكرامة التي نالوها بالرضا والجهاد ، والقتل والاستشهاد ، وفي هذا نجد تفسير قول الحسين « رضا الله رضانا اهل البيت ، نصبر على بلائه ، ويوفينا اجور الصابرين ، وقول ابيه امير المؤمنين ، وهو يجيب عن هذا السؤال : كيف صبرك اذا خضبت هذه من هذه ؟. فقال : « ليس هذا من مواطن الصبر ، ولكن من مواطن البشرى والشكر » .

وزينب هي بنت امير المؤمنين لا تعدوه في ايمانها ، ولا في نظرها

---

(١) حين لقي المسلمون من المشركين شدة شديدة قالوا لرسول الله : الا تدعو الله : الا تدعو الله لنا ؟. قال : أن من كان قبلكم ليمشط احدهم بامشاط الحديد ما دون عظمه من لحم او عصب ما يصرفه ذلك عن دينه ، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنين ما يصرفه ذلك عن دينه وليتمن الله هذا الامر ، حتى ليسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله . وهكذا تم امر اهل البيت لا يخاف مواليهم الا الله ، والحمد لله .

الى طريق الخلود والكرامة .. ولذا لم تترك الصلاة شكراً لله ، حتى ليلة الحادي عشر من المحرم ، وحين مسيرها مسبية الى الكوفة والشام . وحمدت الله ، وهي اسيرة في مجلس يزيد على ان ختم الله للأول من اهل البيت بالسعادة ، وللآخر بالشهادة والرحمة .

ومن الخير ان ننقل كلمة لابيها امير المؤمنين تتصل بالموضوع وتلقي عليه ضوءاً من انوار الحكمة كالهداية ، قال :

« ان اشد الناس بلاء النبيون ، ثم الوصيون ، ثم الامثل فالامثل ، وانما يبتلي المؤمن على قدر اعماله الحسنة ، فمن صح دينه ، وحسن عمله اشتد بلاؤه ، ذلك ان الله لم يجعل الدنيا ثواباً لمؤمن، ولا عقوبة لكافر ، ومن سخف دينه ضعف عمله ، وقيل بلاؤه ، وان البلاء اسرع الى المؤمن التقي من المطر الى قرار الارض » .

وبعد ، فان الأحداث التي مرت بالسيدة زينب لفتت اليها الأنظار . فتحدث عنها المؤرخون واصحاب السير في موسوعاتهم ومنهم من وضع في سيرتها كتباً مستقلة ، واشاد الخطباء بفضلها وعظمتها من على المنابر، ونظم الشعراء القصائد في احزانها واشجانها ، وصبرها وثباتها ، ونذكر هنا — على سبيل المثال — هذه القطعة الدامية لهاشم الكعبي :

وثواكل في النوح تسعد مثلها ... ارأيت ذا ثكل يكون سعيدا
ناحت فلم تر مثلهن نوائحاً ... اذ ليس مثل فقيدهن فقيدا
لا العيس تحكيها اذا حنت ولا ... الورقاء تحسن عندها ترديدا
أن تنع أعطت كل قلب حسرة ... او تدع صدعت الجبال الميدا
عبراتها تحيي الثرى لو لم تكن ... زفراتها تدع الرياض همودا
وغدت اسيرة خدرها ابنة فاطم ... لم تلق غير اسيرها مصفودا
تدعو بلهفة ثاكل لعب الاسى ... بفؤاده حتى انطوى مفؤودا

تخفي الشجا جلداً فان غلب الاسى ضعفت فابدت شجوها المكمودا
نادت فقطعت القلوب بشجوها لكنما انتظم البيان فريدا

ماذا نسمي هذه النغمات الحزينة ؟.. أنسميها شعراً ، والشعر يحتاج الى اعمال الفكر ، وتخير المعاني والالفاظ ، والكعبي لم يفعل شيئاً من ذلك ، وانما انعكست في نفسه آلام آل الرسول ، ثم فاضت بها من حيث لا يشعر ، تماما كما فاضت عيون الثاكلات بالعبرات .. وكل شيعي صادق الولاء لآل نبيه يعبر عن ولائه بالبكاء . واقامة العزاء لما اصابهم وحل بهم ، او بشد الرحال لزيارة قبورهم ومشاهدهم المقدسة ، او بالاحتجاج لحقهم ، ومنافحة خصومهم ، او بثورة شعرية ، كما فعل السيد حيدر الحلي [1] ..

اما ان تكون نفس المحب بالذات هي الاداة المعبرة عن حبه وولائه ، فهذا ما لا نعرفه الا من افراد قلائل جداً ، منهم هاشم الكعبي ، والشريف الرضي .. ان هذه القطعة ليست وصفاً لندب الثواكل وحنينها الى سيدها وكفيلها ، ولا تصويراً لاحزانها واشجانها ، وكفى ، ولا اخبار بالذي اصاب آل محمد ، كما قال بعض الشعراء :

سبيت نساء محمد وبناته من بعد ما قتلت هناك رجاله

وانما هي قلب مضطرم قد استحال الى كلمات تلهب القلوب والمشاعر .. فلقد هيمن الولاء على الكعبي ، وانتقل به من عالمه ودنياه الى عالم الثواكل في كربلاء ، فشعر بشعورهن ، واحس باحساسهن ، حتى اصبح مثلهن ثاكلا يندب وينوح بعبرات تحيي الثرى ، وزفرات تدع الرياض همودا .

(١) شاعر مكثر ومجيد في رثاء الحسين . وشعره كله اوجله ثورة وحماسة واستنهاض .

نوايا يزيد

كلمة الحسين :

مات معاوية ، وتولى يزيد الامر من بعده ، وابى الا ان يأخذ لنفسه بيعة الحسين .. وقال الحسين كلمته التي لا يحول عنهـا ، ولا يزول ، مهما تكن العواقب : « ان مثلي لا يبايع مثله » .. وكانت المأساة التـي لا يزال ولن يزال يجري دمها طريًا على وجه الارض ، كما قال السيـد العبيدي .. ان معاوية ليس بشيء من الاسلام ، ولا من الانسانية فـي حساب الحسين ، فكيف بولده يزيد ؟!.. واقرأ معي هذا التأنيب والتوبيخ الذي وجهه الحسين لمعاوية بصوت عال جريء .

الحسين ومعاوية

كتب مروان بن الحكم ، وهو عامله على المدينة :

اما بعد ، فان عمرو بن عثمان ذكر ان رجالا من اهل العراق ، ووجوه اهل الحجاز يختلفون الى الحسين بن علي ، وانه لا يؤمن وثوبه ، وقـد بحثت عن ذلك . فبلغني انه يريد الخلاف يومه هذا ، فاكتب الي برأيك .

فكتب معاوية الى الحسين :

اما بعد ، فقد انتهت الي امور عنك ، ان كانت حقاً ، فأني ارغب بك عنها ، ولعمر الله ان من اعطى الله عهده وميثاقه لجدير بالوفاء ، وان احق الناس بالوفاء من كان مثلك في خطرك وشرفك ومنزلتك التي انزلك الله بها ، ونفسك فاذكر . وبعهد الله اوف . فانك متى تنكرني انكرك . ومتى تكدني اكدك ، فاتق شق عصا هذه الامة ، وان يردهم الله على يدك في فتنة ، فقد عرفت الناس . وبلوتهم فانظر لنفسك ولدينك ؛ ولأمة محمد ، ولا يستخفنك السفهاء ؛ والذين لا يعلمون .

يا لسخرية الاقدار .. الشجرة الملعونة في القرآن تقول لمن طهره الله تطهيراً .. انظر لدينك ولامة محمد .. عدو الله والرسول الذي قال لأهل الكوفة : ما قاتلتكم لأجل الصوم والصلاة . بل لأتأمر عليكم .يقول لربيب الوحي : أنظر لدينك ؟.. ولكن الحسين قد ابطل كيده . وهدم كهفه ، وارغم انفه ، حيث اجابه :

أما بعد ، فقد بلغني كتابك ، تذكر فيه انه انتهت اليك عني امور ، انت لي عنها راغب ؛ وانا بغيرها عندك جدير . فان الحسنات لا يهدى لها ؛ ولا يسدد اليها الا الله تعالى .

وأما ما ذكرت انه رقي اليك عني فانه انما رقاه المشاءون بالنميم .. وما اردت اليك حرباً ، ولا عليك خلافاً ، واني اخشى الله في ترك ذلك منك ومن الأعذار فيك اليك . والى أوليائك القاسطين . حزب الظلمة. وأولياء الشياطين ..

الست القاتل حجر بن عدي اخا كندة . واصحابه المصلين العابدين الذين كانوا ينكرون الظلم . ويستفظعون البدع ويأمرون بالمعروف .

وينهون عن المنكر ، ولا يخافون في الله لومة لائم ، ثم قتلتهم ظلماً وعدواناً من بعد ما اعطيتهم الأيمان المغلظة ، والمواثيق المؤكدة ، لا تأخذهم بحدث كان بينك وبينهم ، جرأة منك على الله ، واستخفافاً بعهده ؟..

او لست قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله لعبد الصالح الذي ابلته العبادة ، فنحل جسمه ، واصفر لونه ، فقتلته بعد ما امنته ، واعطيته من العهود ما لو فهمته العصم لنزلت من رءوس الجبال ؟..

او لست المدعي زياد بن سمية المولود على فراش عبيد من ثقيف ، فزعمت انه ابن ابيك ، وقد قال رسول الله : الولد للفراش ، وللعاهر الحجر ، فتركت سنة رسول الله تعمداً ، وتبعت هواك بغير هدى من الله ، ثم سلطته على اهل الاسلام يقتلهم ، ويقطع ايديهم وارجلهم ، ويسمل اعينهم ، ويصلبهم على جذوع النخل ، كأنك لست من هذه الامة وليسوا منك ؟.

او لست صاحب الحضرميين الذين كتب فيهم ابن سمية انهم على دين علي ، فكتبت ان اقتل كل من كان على دين علي ، فقتلهم ، ومثل بهم بامرك ، ودين علي هو دين ابن عمه الذي كان يضرب عليه اباك ، ويضربك ، وبه جلست مجلسك الذي انت فيه ، ولولا ذلك لكان شرفك وشرف آبائك تجشم الرحلتين : رحلة الشتاء ، والصيف ؟..

وقلت فيما قلت : انظر لنفسك ولدينك ولامة محمد ، واتق شق عصا هذه الامة ، وان تردهم الى فتنة ، واني لا اعلم فتنة اعظم على هذه الامة من ولايتك عليها ، ولا اعظم نظراً لنفسي ولديني ولامة محمد افضل من جهادك ، فان افعل فانه قربة الى الله ، وان تركته فاني استغفر الله لديني ، واسأله توفيقه لارشاد امري ..

وقلت فيما قلت : ان انكرتك تنكرني ، وان اكدك تكدني ،فكدني ما بدا لك فاني ارجو الله ان لا يضرني كيدك ، وان لا يكون على احد إضر منه على نفسك ، لأنك قد ركبت جهلك ، وتحرصت على نقض عهدك، ولعمري ما وفيت بشرط ، ولقد نقضت عهدك بقتل هؤلاء النفر الذين قتلتهم بعد الصلح والأيمان والعهود والمواثيق ، قتلتهم من غير ان يكونوا قاتلوا ، ولم تفعل ذلك بهم الا لذكرهم فضلنا ، وتعظيمهم حقنا ، قتلتهم مخافة أمر لعلك لو لم تقتلهم مت قبل ان يفعلوا ، او ماتوا قبل ان يدركوا ، فابشر يا معاوية بالقصاص ، واستيقن بالحساب ، واعلم ان لله كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ، وليس الله بناس لاخذك بالظنة ، وقتلك اولياءه على التهم ، ونفيك اياهم من دورهم الى دار الغربة ..

واخذك للناس بيعة ابنك ، غلام حدث يشرب الشراب : ويلعب بالكلاب ، ما اراك الا قد خسرت نفسك ، وبترت دينك ،وغششت رعيتك واخربت امانتك ، وسمعت مقالة السفيه الجاهل ، واخفت الورع التقي ، والسلام [1] .

ولما قرأ معاوية الكتاب اطلع عليه ولده يزيد ، فقال له : اجبه جواباً يصغر اليه نفسه ، واذكر اباه علياً بشر .

فقال معاوية : وماذا اقول في علي ، ومثلي لا يحسن ان يعيب بالباطل ؟.. ومتى عبت رجلا بما لا يعرفه الناس كذبوه .. وما عسيت ان اعيب حسيناً ؟.. والله ما ارى للعيب فيه موضعاً .

---

(١) اعيان الشيعة ج ٤ ص ١٤٢ طبعة سنة ١٩٤٨ نقلا عن كتاب « الامامة والسياسة » لابن قتيبة . وذكر هذا الكتاب ايضاً صاحب البحار ج ١٠ ص ١٤٩ .

الحسين يبايع يزيد وهو يقف من ابيه معاوية هذا الموقف ،ويخاطبه بهذا الاحتقار والازدراء : ركبت جهلك ، ونقضت عهدك ، وخسرت دينك، وغششت الرعية ، وقتلت اولياء الله ، واخذت البيعة لغلام يشرب الشراب، ويلعب بالكلاب ؟!٠

قرأ يزيد هذا السجل الخالد في مثالبه ، ومثالب من مهد له ، وبايعه بالخلافة ، فحرض اباه على ان ينال بالباطل من علي والحسين ، ولم يجد معاوية ما يقوله فيمن اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، فاجتر يزيد ضغينته واحقاده ، وانطوى على غيظه وغضبه ينتظر الفرصة المؤاتية٠

فوران الحقد :

وبعد ان هلك معاوية ، وتولى يزيد الامر من بعده صمم ان يقتل الحسين على كل حال ، وبأي ثمن ، ومهما تكن النتائج ٠٠ وسواء أصح ان معاوية اوصاه خيراً بالحسين ، او لم يصح ، فان فوران الحقد واللؤم والبغض والغيظ من الحسين قد بلغ الغاية من نفسه ، وادى به الى حمق لا تجدي معه النصيحة ، والى داء لا يشفيه الا الانتقام ، ولو كان به ذهابه وذهاب ملكه ، ومن قبل قال عبدالله بن الزبير : « اقتلوني ومالكاً »٠

صمم الحسين ان لا يبايع يزيد ، قتل او لم يقتل ، لسبب واحد وهو « ان مثله لا يبايع مثل يزيد » ٠٠ وصمم يزيد على قتل الحسين بايع أو لم يبايع لاسباب :

« منها » : العداء المبدئي الذي اشار اليه الامام الصادق بقوله: « نحن وآل ابي سفيان تعادينا في الله ، قلنا : صدق الله ٠ وقالوا : كذب الله » ٠

و « منها » : العداء الشخصي ، فقد كان يزيد يعلم علم اليقين بـان الحسين يزدريه ويحتقره واباه معاوية ، وايضاً يعلم بان الحسين ينظر اليه والى ابيه كما ينظر الى المنافقين والمفترين ، ولا شيء أشـد وطأة علـى النفس من الاحتقار والاستخفاف .

و « منها » : الاخذ بثارات بدر .. ولذا هتف باشياخـه حين وضع رأس الحسين بين يديه ، وقال : « ليت اشياخي ببدر شهدوا » .

وقد تجاهل هذه الحقيقة الذين اضمروا العداء لعلي وبنيه ، وقالوا : ان الحسين ألقى بيده الى التهلكة ، وكان عليه ان يسلم ليزيد ، مـادام عاجزاً عن مقاومته .. قالوا هذا ، وهم يعلمون ان الحسن صالح معاوية، وسلم له الامر ، ثم غدر به ، وان معاوية اعطى العهود والمواثيق لاوليـاء الله كحجر بن عدي وعمرو بن الحمق وغيره ، ثم نقضها ، وقتلهم دون ان يقاتلوه ، وان مسلم بن عقيل ألقى السلاح بعد ان اخذ العهد والامان من اذناب الامويين ، ثم قتلوه ومثلوا به .

وجاء في المجلد العاشر من البحار ص ١١٦ :

« ان يزيد انفذ عمرو بن سعيد الى مكة ، وولاه الموسم وامره بقتل الحسين على اي حال اتفق ، وانه دس مع الحاج ثلاثين رجـلا ، ليغتالوا الحسين ، ولما علم الحسين بذلك خرج من مكة ، وقبل خروجه قال لاخيه محمد بن الحنفية : والله يا اخي لو كنت في حجر هامة من هوام الارض لاستخرجوني منه ، حتى يقتلوني [1] .. وفي هذا دلالة ظاهرة انه مقتول،

---

(١) وما رأيت اجهل ممن قال : كيف اطمأن الحسين لاهل الكوفـة، وقد غدروا باخيه وابيه من قبل ؟.. فهل كان الحسين يجهل ذلك ؟. الم يصرح اكثر من مرة بان الله شاء ان يراني قتيلا ، ويرى نسوتي سبايا ؟..

حتى ولو سالم وبايع ، وكانوا يعرضون عليه البيعة صورة ، لعلمهم بانه لا يبايع . الا ترى كيف اشار مروان بن الحكم بقتل الحسين على والي المدينة ؟.. وكيف كتب ابن زياد لابن سعد : اعرض على الحسين ان ينزل على امرنا ، ثم نرى فيه رأينا ؟.. » .

ومن عرف حقيقة يزيد ، وعوامله النفسية ، وتربيته لا يشك في شيء من ذلك .. ان يزيد ينزع للانتقام بطبيعته وفطرته ، وبنسبه وتربيته ، ولا يشبع نزعته هذه ، البيعة وغير البيعة ، لا يشبعها الا الدم ، حتى الدم لم يشف غليل جدته هند .. فلاكت كبد الحمزة واتخذت من اطرافه قلادة تتزين بها لجده ابي سفيان ..

الخروج بالنساء

قد يقول قائل : ما دام الحسين يعلم بانه مقتول لا محالة ، كما صرح بذلك لاخيه محمد بن الحنفية ، وحين علم بمقتل ابن عمه مسلم ، وفي مناسبات شتى ، فلماذا صحب معه النساء والاطفال ، حتى جرى عليها ما جرى ؟..

الجواب :

اجل ، ان الحسين والاصحاب والتابعين كانوا يعلمون بمقتل الحسين قبل وقوعه ، فقد اشتهر وتواتر من طريق السنة والشيعة ان النبي (ص) اخبر بذلك أكثر من مرة .. قال صاحب « العقد الفريد » ج ٥ ص١٢٤ طبعة ١٩٥٣ :

« قالت ام سلمة : كان عندي النبي ، ومعي الحسين ، فدنا من النبي فاخذته ، فبكى فتركته ، فدنا منه فاخذته ، فبكى فتركته ، فقال له جبريل:

اتحبه يا محمد ؟• قال : نعم • قال : اما ان امتك ستقتله ، وان شئت اريتك من تربـة الارض التي يقتل بها • فبسط جناحه ، فأراه منها ، فبكى النبي (ص) • »

وقال صاحب « ذخائر العقبى » ص ١٤٦ طبعة ١٣٥٦ هـ :

« قال رسول الله : ان ابني هذا ، يعني الحسين يقتل بارض من العراق • فمن ادركه فلينصره » • ثم قال صاحب الذخائر : وهذا الحديث خرجه البغوي في معجمه ، وابو حاتم في صحيحه ، واحمد في مسنده •

وبهذا يتبين معنا ان الذين نهوا الحسين عن الخروج من الاصحاب والتابعين . واعلموه بانه مقتول قد اعتمدوا على احاديث النبي ، وتجاهلوا قوله « من ادركه فلينصره » ايثاراً للعاجلة على الآجلة •• حين سمع ابن عمر بخروج الحسين اسرع خلفه حتى ادركه في بعض المنازل ، فقال له : الى اين يا ابن رسول الله ؟•

قال : الى العراق •

قال : اكشف لي عن الموضوع الذي كان رسول الله يقبله منك• فكشف له عن سرته ، فقبلها ابن عمر ثلاثاً ، وبكى ، وقال : استودعك الله يا ابن رسول الله ، فانك مقتول في وجهك هذا •

واذا كان الحسين مقتولا لا محالة فليكن ثمن قتله واستشهاده ذهاب دولة الباطل من الوجود . وخلاص المسلمين منها ومن الجور والبغي •• ولا طريق للخلاص الا بانفجار الثورة على الامويين وسلطانهم •• وكان ذبح الاطفال وسبي النساء . والتطواف بهن من بلد الى بلد من اجدى الوسائل لانفجار الثورة التي هزت دولة البغي من الاركان •

لقد صحب الحسين النساء معه عن قصد وتصميم ليطوف بهن الامويون في البلدان ، ويراهن كل انسان ، ويقلن بلسان الحال والمقال : ايها المسلمون ، انظروا ما فعلت امية التي تدعي الاسلام بآل نبيكم •• وكان الناس يستقبلون جيش يزيد الذي يطوف بالسبايا ، يستقبلونه بالمظاهرات ، والرشق بالاحجار ، والهتافات المعادية للامويين وحزبهم ، ويصرخون : في وجوههم يا فجرة •• يا قتلة اولاد الانبياء ••

لقد رأى المسلمون في السبايا من الفجيعة اكثر مما رأوا من قتل الحسين ، ولولاهن لم يتحقق الهدف من قتل الحسين ، وهو انهيار دولة الظلم والطغيان ••

ولنفترض ان السيدة زينب بقيت في المدينة ، وقتل اخوها الحسين في كربلاء ، فماذا تصنع ؟•• وأي شيء تستطيع القيام به غير البكاء واقامة العزاء ؟••

ومما قلته في كتاب المجالس الحسينية :

« هل ترضى هي لنفسها ، او يرضى لها مسلم ان تركب جملا مكشوفة الوجه ، تنتقل من بلد الى بلد تثير الناس على يزيد وابن زياد ؟•• وهل كان يتسنى لها الدخول على ابن زياد في قصر الامارة ، وتلعنه وتلعن اباه ؟•• وهل كان بامكانها ان تدخل الى مجلس يزيد ، وتلقي تلك الخطب التي اعلنت فيها كفره وخروجه عن دين الاسلام ؟•

ان السيدة زينب لا تخرج من بيتها مختارة ، ولا يرضى لها المسلمون بالخروج مهما كان السبب ، حتى ولو قطع الناس يزيد باسنانهم ، ولكن الامويين هم الذين اخرجوها ، وهم الذين ساروا بها ، وهم الذين ادخلوها في مجالسهم ومهدوا لها سبيل الدعاية ضدهم وضد سلطانهم » •

وكل ما فعله الامويون في كربلاء عاد عليهم بالوبال والخسران ..
قال الالماني ماربين : « بعد وقعة كربلاء انكشفت سرائر الامويين ،وظهرت قبائح اعمالهم ، وانتشر الخلاف على يزيد وبني امية . وما كان يجرؤ انسان قبل كربلاء ان يجهر بتقديس علـي والحسين ، وبعدها لم يكـن للناس من حديث الا في فضل العلويين ومحنهم ، حتى في مجلس يزيد كان يذكر الحسين واباه بالتقدير والتعظيم » .

في الكوفة والشام

قيل للحسين : كيف اصبحت يا ابن رسول الله ؟.

قال : « اصبحنا في قومنا مثل بني اسرائيل في آل فرعون ، يذبحون ابناءنا ، ويستحيون نساءنا ، واصبح خير البرية بعد محمد يلعن على المنابر ، واصبح عدونا يعطي المال والشرف ، واصبح من يحبنا محتقراً منتقصاً حقه .. وكذلك لم يزل المؤمنون ، واصبحت العجم تعرف للعرب حقها ، لأن محمداً منها ، واصبحت العرب تعرف لقريش حقها ، لأن محمداً منها .. واصبحنا اهل البيت لا يعرف لنا حق ، فهكذا اصبحنا » .

واذا كان غير العرب لم ينافسوا العرب في الحكم والسلطان ، لانهم اقرب الى محمد ، والعرب لم ينافسوا قريشاً للسبب ذاته ،فالنتيجةالحتمية لهذا المنطق ان لا تنافس قريش اهل البيت في حقهم بالخلافة ، وان تسمع لهم ، وتطيع .. وهذي هي عقيدة التشيع لاهل البيت ، ولا شيء سواها، وهي — كما ترى — نتيجة طبيعية لمنطق الذين انكروا هذا الحق،ومدلول قهري لدليلهم الذي اعتمدوا عليه بالذات ، ومن هنا فرض نفسه على جاحديه ، وظهر على فلتات السنتهم من حيث لا يشعرون .

قال الراغب الاصفهاني في « محاضرات الادباء » ج ٤ ص ٤٧٨طبعة سنة ١٩٦١ :

« كان عمر يسير مع ابن عباس ، فقرأ آية فيها ذكر علي بن ابي‌طالب، فقال : اما والله يا بني عبد المطلب لقد كان علي فيكم اولى بهذا الامـر مني ، ومن ابي بكر •• فقال ابن عباس انت تقول ذلك يا امير المؤمنين، وانت وصاحبك وثبتما ، وافترعتما الامر منا دون الناس ؟!•• فقال عمر: إنا والله ما فعلنا الذي فعلنا عن عداوة ، ولكن استصغرناه ، وخشينا ان لا تجتمع عليه العرب وقريش لما قد وترها •• قال ابن عباس : فاردت ان اقول : كان رسول الله يبعثه ، فينطح كبشها ، فلم يستصغره ، افتستصغره انت وصاحبك ؟•• فقال عمر : لا جرم ، فكيف ترى ؟•• والله ما نقطـع امراً دونه ، ولا نعمل شيئاً ، حتى نستأذنه » •

وطبيعي ان يعتذر عمر بجميع الاعذار ، وان يتشبث ولو بالطحلب بعد ان اعترف صراحة ان علياً اولى منه ومن صاحبه بالخلافة •• ولو وقف الامر عند خلافة الشيخين لهان الخطب •• ولكن هذه الخلافة جرت الويلات علي الاسلام والمسلمين الى يوم يبعثون ، بخاصة ما حدث علـى اهل البيت ، فلولاها لم يكونوا في قومهم كبني اسرائيل في آل فرعون ، ولا كان يوم عثمان ، ولا الجمل وصفين والنهروان ، ووقعة الحرى ، وما اليهـا ••

وقد لا تكون هذه الاحداث في حسبان الشيخين ، ولا من مقاصدهما حين دبر الامر ضد علي ، ونحياه عن الخلافة ، ولكنها جاءت نتيجة طبيعية لخلافتهما •• وقد بررا هذا التدبير بخوف الفتنة ، وعدم اجتماع كلمـة العرب وقريش على علي ، « لما قد وترها » ــ كما قال عمر ــ وقد ابطلت سيدة النساء هذا الزعم بخطبتها الشهيرة التي القتها على الخليفـة الاول والاصحاب في مسجد ابيها ، حيث قالت : زعمتم خوف الفتنة : « الا في الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين » •

فافهمتهم ان الفتنة والشقاق فيما دبروا وتآمروا ، كمـا ذكرتهم :

كيف كانوا في :جاهليتهم ؟ وكيف صاروا بفضل ابيها ، وجهاد ابن عمها ، ثم وازنت بينهم وبين بعلها امير المؤمنين ، بقولها :

كان علي « مكدوداً في ذات الله ، مجتهداً في امر الله ، قريباً من رسول الله ، سيداً من اولياء الله ، مشمرّاً ناصحاً مجداً كادحاً ، واتم في بلهنية من العيش ، وادعون فاكهون آمنون ، تتربصون بنا الدوائر ، وتتوكفون الاخبار ، وتنكصون عند النزال ، وتفرون عند القتال ، فلما اختار الله لنبيه دار انبيائه ، ومأوى اصفيائه ظهرت فيكم حسيكة النفاق .. واطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفاً بكم ، فالفاكم لدعوته مستجيبين ، وللغرة فيه ملاحظين ، ثم استنهضكم فوجدكم خفافاً » .

وبهذا يتبين أن الزهراء اول من وضع اسس الموازنة والمفاضلة بين اهل البيت وغيرهم ، واول من دعا دعوة صريحة واضحة لولائهم ووجوب طاعتهم ومتابعتهم ، واول من اعلن نفاق من صدوا علياً عن الخلافة بعد ابيها [1] .. خطبت الزهراء بعد حادثة السقيفة خطبتين : الاولى في المسجد الجامع بحضور المهاجرين والانصار ، وفيهم ابو بكر وعمر ، والثانية في بيتها حين اجتمعت نساء الاصحاب ، ليعدنها في المرض الذي ماتت فيه ، وترتكز اقوالها في كلتا الخطبتين على ان ابن عمها علياً هو صاحب الحق في الخلافة بعد رسول الله ، وان الذين حالوا بينه وبينها قد خانوا العهد والميثاق ، وقطعوا ما امر الله به ان يوصل .

---

(١) اول من اثبت الولاية لعلي الله ورسوله ، فلقد فسر المفسرون قوله تعالى « والذين آمنوا الواردة في الآية ٥٦ سورة المائدة » فسروها بعلي وهي « انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة وهم راكعون » اما احاديث الولاية من السنة فلا يبلغها الاحصاء ، منها الحديث المتواتر عند جميع المسلمين ، وهو «من كنت مولاه فعلي مولاه» .

اما مطالبتها بفدك فقد كانت وسيلة لهذه الغاية ، والا فما لفاطمة بنت محمد وفدك ، وغير فدك •• ان الدنيا بكاملها ليست من آل محمد في شيء ، ولا هم منها في شيء •• هذا ، الى انها كانت على علم من موقف الخليفة قبل ان تخاصمه ، وتحتج عليه ، فقد اخبرها ابوها بكل ما يجري عليها ، وعلى بعلها ، واولادها من بعده ، وصرحت هي بمعرفتها هذه في آخر الخطبة بقولها : « وقد قلت ما قلت على معرفة مني بالخذلة التي خامرتكم والغدرة التي استشعرتها قلوبكم » •

انها لا تريد فدكاً •• وانما تريد أن ترسي اساس حق علي في الخلافة ، وتعلن للاجيال ان هذا الحق ركن من اركان الاسلام ، ودعامة من دعائمه ، ولا يهمها بعد هذا ان يصل بعلها الى الخلافة او لا يصل ، وانما المهم ان يعرف هذا الحق ، ويؤمن به كل من آمن بالله ونبوة محمد •• وقد طعن معاوية على الامام بانه اجبر على مبايعة من سبقه ، فاجابه : « وما على المسلم من غضاضة في ان يكون مظلوماً ما لم يكن شاكاً في دينه ، ولا مرتاباً في يقينه » •

ان الذي لا يكترث بالاقاليم السبعة ، تحت افلاكها ، ويستهين بالحياة ، ويرى الشهادة الفوز الاكبر ، لا يهتم بهذه الخلافة ، ومن تقمصها •• وطبيعي ان لا يهتم علي بالخلافة التي يتنافس عليها ابناء الدنيا ما دام الحق يدور معه كيفما دار •• ان علياً خليفة على كل حال ، لان خلافته إلهية ، تماماً كنبوة محمد لا يمكن ان يتولاها غيره ، او ينتزعها احد منه • واذا جهل ، او تجاهل هذه الحقيقة ، الذي انقلب على عقبيه بعد نبيه ، فقد وعاها وآمن بها الذين ثبتهم الله على الايمان باتباع الرسول واهل بيته •

خطبت الزهراء خطبتين : الاولى في المسجد الجامع ــ كما قدمنا ــ والثانية في نساء الاصحاب ، وقد جاء في هذه الخطبة :

« اصبحت والله عائفــة لدنياكن ، قالية لرجالكن •• « ولبئسما قدمت لهم انفسهم . ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون » •• فجدعاً وعقراً وبعداً للقوم الظالمين •• وما الذي نقموا من ابي الحسن ؟• نقموا والله نكير سيفه ، وقلة مبالاته بحتفه ، وشدة وطأته ، وتنمــره في ذات الله عز وجل ، وتالله لو مالوا عن المحجة اللائحة ، وزالوا عن قبول الحجة الواضحة لردهم اليها » •

وتكلمت ابنتها زينب بعد يوم كربلاء في ثلاثة مواقف : الاول حين دخلت السبايا الكوفة ، واستقبلها الكوفيون والكوفيات بالبكاء والعويل، فارتجلت خطبة ، جاء فيها :

« اتبكون وتنتحبون ؟!•• اي والله فابكوا كثيراً ، واضحكوا قليلا، فلقد ذهبتم بعارها وشنارها ، ولن ترحضوها بغسل بعدها ابداً • وانّى ترحضون قتل سليل خاتم النبوة ، ومعدن الرسالة ، ومدار حجتكم ، ومنار محجتكم ، وملاذ خيرتكم ، ومفزع نازلتكم ، وسيد شباب اهل الجنــة ألا ساء ما تزرون •

فتعساً ونكساً وبعداً وسحقا •• . فلقد خاب المسعى . وتبت الايدي، وخسرت الصفقــة ، وبؤتم بغضب الله ورسوله ، وضربت عليكم الذلــة والمسكنــة •

ويلكم يا اهل الكوفة •• اتدرون أي كبد لرسول الله فريتم ؟•وأي كريمة له ابرزتم ؟• وأي دم له سفكتم ؟• وأي حرمة له انتهكتم ؟• لقد جئتم شيئاً ادّا • تكاد السموات يتفطرن منه ، وتنشق الارض . وتخــر الجبال هدّا •

ومن تأمل خطبتها هذه ، وخطبة امها تلك يبدو له لاول نظرة وجــه الشبه بين الخطبتين ، وانهما تصدران من معدن واحد . وترميان الى هدف

واحد ، وهو بث الدعوة لاهل البيت ، ونشر فضائلهم ومحاسنهم ،ومثالب غيرهم ومساوئهم •• وافهام الناس جميعاً ان الاسلام في حقيقته لا يقوم على التلفظ بالشهادة ، وتأدية الفرائض المكتوبة ، وكفى ، بل لا بد - أولا وقبل كل شيء - من التصديق بكل ما جاء به محمد ، ومما جاء به وجوب التمسك بالكتاب والعترة « بنص حديث الثقلين الذي رواه مسلم واحمد » ، ولكن المسلمين بعد نبيهم نبذوا الكتاب ،واضاعوا العترة •• ويقول الشيخ المظفر فيالجزء الثالث من كتاب « دلائل الصدق » : « ولا ادري متى تمسكت الامة بالعترة ؟•• أفي زمن امير المؤمنين ، او في زمن ابنائه الطاهرين ؟•• بل جعلوا عداوتهم وسبهم ديناً ، وحاربوهم بالبصرة والشام والكوفة ، وسبوا نساءهم سبي الترك والديلم » •

ولا احسبني بحاجة الى التنبيه ان زينب حين تخاطب اهل الكوفة، وتقول : اي كبد لرسول الله فريتم الخ ••• انما تعني من ظلم اهلالبيت، ورضي بظلمهم ، وشايع وتابع عليه •

الموقف الثاني للسيدة زينب حين دخلت مجلس ابن زياد ،وقال لها :

الحمد لله الذي فضحكم ••

فقالت : الحمد الذي كرمنا بنبيه محمد ، وطهرنا من الرجس تطهيراً ، وانما يفتضح الفاسق ، ويكذب الفاجر ، وهو غيرنا •

اجل ، يا ابنة امير المؤمنين ، وسيد الوصيين ، انكم النور الذي انبثق من ذات الله ، ومستودع سره واماناته . والطهر الذي انبعث من رسول الله . ووارثو علمه وخلقه ، ومجده وشرفه ، وحكمه وسلطانه •

ثم قال ابن زياد : كيف رأيت فعل الله باهل بيتك ؟•

قالت : ما رأيت الا جميلا ، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل ، فبرزوا الى مضاجعهم ، وسيجمع الله بينك وبينهم ، فتحاج وتخاصم ، فانظر لمن الفلج يومئذ ، ثكلتك امك يا ابن مرجانة .

اسيرة تحتقر الحاكم الآسر وتزدريه ، ولا ترهب سلطانه وبطشه !.. اجل ، انها بنت علي لا تخشى الموت ، ومن لا يخشى الموت لا يخضع لشيء ، ولا يرهبه شيء .

وما اشبه قولها لابن زياد « فانظر لمن الفلج يومئذ .. ثكلتك امك يا ابن مرجانة » بقول امها للخليفة الاول « يا ابن ابي قحافة أفي كتاب الله ان ترث اباكِ ، ولا ارث ابي ؟.. لقد جئت شيئاً فريا .. افعلى عمد تركتم كتاب الله ، ونبذتموه وراء ظهوركم ؟..» .

اجل ، ان كلا منهما – المعني بخطاب الزهراء ، والمعني بخطاب زينب – قد ترك الكتاب ، ونبذه وراء ظهره عن عمد ، ولم يختلفا في شيء الا في الاسلوب والمظهر ..

الموقف الثالث حين دخلت مجلس يزيد ، وسمعته يتمثل بابيات من قال :

ليت اشياخي ببدر شهدوا   جزع الخزرج من وقع الاسل
لأهلوا واستهلوا فرحاً   ثم قالوا يا يزيد لا تشل

فقالت السيدة :

« الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على رسوله وآله اجمعين ،صدق الله سبحانه ، حيث يقول : « ثم كان عاقبة الذين اساءوا السوأى ان كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزءون – ١٠ الروم . »

اظننت يا يزيد ، حين اخذت علينا اقطـار الارض ، وآفاق السماء ، فاصبحنا نساق ، كما تساق الاسارى . ان بنـا على الله هواناً ، وبك عليه كرامة ، وان ذلك لعظم خطرك عنده ؟.. فشمخت بانفك ، ونظـرت في عطفك جذلان مسروراً .. حين رأيت الدنيا لك مستوسقة ، والامور متسقة ..

وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا .. فمهلا مهلا .. انسيت قـول الله تعالى : « ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثماً ولهم عذاب مهين ــ ١٨٧ آل عمران ».

امن العدل يا ابن الطلقاء ، تخديرك حرائرك واماءك ، وسوقك بنات رسول الله سبايا ، قد هتكت ستورهن ، وابديت وجوههن ، تحدو بهـن الاعداء من بلد الى بلد ، ويستشرفهن اهل المناهل والمعاقـل ، ويتصفح وجوههن القريب والبعيد ، والدني والشريف .

ليس معهن من حماتهن حمي ، ولا من رجالهن ولي ، وكيف يرتجى مراقبة من لفظ فوه اكباد الازكياء ، ونبت لحمه من دماء الشهداء ؟!.. وكيف يستبطأ في بغضنا اهل البيت من نظر الينا بالشنف والشنان،والاحن والاضغـان ؟!..

ثم تقول غير متألم ولا مستعظم :

لأهلّوا واستهلّـوا فرحـاً   ثـم قالوا يا يزيـد لا تشل

منحنياً على ثنايا ابي عبـدالله سيد شباب اهـل الجنة ، تنكثهـا بمخصرتك ؟.. وكيف لا تقول ذلك ؟.. وقد نكأت القرحة واستأصلت الشأفة باراقتك دماء ذرية محمد صلى الله عليه وآله ، ونجوم الارض من آل عبد المطلب ، وتهتف باشياخك ، زعمت انك تناديهم ، فلتردن وشيكاً

موردهم ، ولنودن انك شللت ، وبكمت ، ولم تكن قلت ما قلت ، وفعلت ما فعلت ..

اللهم خذ لنا بحقنا ، وانتقم من ظلمنا ، واحلل غضبك بمن سفك دماءنا ، وقتل حماتنا .

فوالله ما فريت الا جلدك ، ولا حززت الا لحمك ، ولتردن على رسول الله صلى الله عليه وآله بما تحملت من سفك دماء ذريته ، وانتهكت من حرمته في عترته ولحمته ، حيث يجمع الله شملهم ، ويلم شعثهم ، ويأخذ بحقهم : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون » .

وحسبك بالله حاكماً ، وبمحمد خصيماً ، وبجبريل ظهيراً ، وسيعلم من سول لك ومكنك من رقاب المسلمين بئس للظالمين بدلا وايكم شر مكاناً ، واضعف جندا .

ولئن جرت علي الدواهي مخاطبتك ، اني لاستصغر قدرك،واستعظم تقريعك ، واستكثر توبيخك ، ولكن العيون عبرى ، والصدور حرى .. الا فالعجب كل العجب لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء !.. فهذه الايدي تنطف من دمائنا ، والافواه تتحلب من لحومنا ، وتلك الجثث الطواهر الزواكي تنتابها العواسل ، وتعفرها امهات الفراعل .

ولئن اتخذتنا مغنماً لتجدنا وشيكاً مغرماً حين لا تجد الا ما قدمت يداك ، وما ربك بظلام للعبيد ، والى الله المشتكى ، وعليه المعول .

فكد كيدك ، واسع سعيك ، وناصب جهدك ، فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحينا ، ولا يرخص عنك عارها ، وهل رأيك الا فند ، وايامك الا عدد ، وجمعك الا بدد ، يوم ينادي المنادي الا لعنة الله على الظالمين.

والحمد لله رب العالمين الذي ختم لا ولنا بالسعادة والمغفرة ،ولآخرنا

بالشهادة والرحمة ، ونسأل الله ان يكمل لهم الثواب ، ويوجب لهم المزيد، ويحسن علينا الخلافة . انه رحيم ودود . وحسبنا الله ونعم الوكيل » .

وادع تحليل هذه الكلمات ، وبيان ما فيها من كنوز واسرار ، لاني اخشى ان لا اعطيها قيمتها الحقيقية ، ومعناها الصحيح ، واحاول ان ارسم ما استشعرته ، وانا اتأمل ، وانعم الفكر في مدلول هذه الكلمات والنبرات التي هي امضى من حد السيوف واشد من طعن الرماح .. واقسم انـي قد نسيت ذلك المشهد الرهيب ، ووقوف النساء والاطفال اسارى بـين يدي يزيد .. نسيت كل هذه المحن ، وانا استمع الى الحوراء ، وهي تصفع الطاغية بكلماتها الملتهبة ، وتلعنه وتخزيه ، وتشفي منه صدور قوم مؤمنين؛ اجل ، نسيت كل شيء الا قولها :

« يا ابن الطلقاء .. ومن لفظ فوه أكباد الازكياء .. ونبت لحمـه من دماء الشهداء .. »

وقولها « ما فريت الا جلدك ، وما حززت الا لحمك .. » .

وقولها « اني استصغر قـدرك ، واستعظم تقريعك .. واستكثـر توبيخك .. »

وقولها « وهل رأيك الا فند ، وجمعك الا بدد ؟.. الا لعنة الله على الظالمين » اي عليه وعلى آبائه ، وعلى من مهـد له ولهم سبيل الحكـم والتحكـم ..

وبعد ، فليست هذه الكلمات نفثة مصدور ، ولا هذه الروح التـي خاطبت يزيد في هذا الجو تشبه ارواحنا نحن ابناء الارض في شيء . انها روح إلهية لا ترى غير جبار السماء .. ولو كانت زينب من هذه النسوة لما استطاعت غير البكاء والرجاء .. ولكنها من بيت ، اساسه محمـد ، وبناؤه علي وفاطمة والحسن والحسين ؛ وبانيه الله الواحد الاحد .

ان كل موقف من مواقف اهل البيت ، وكل كلمة من كلماتهم؛ شاهد

صدق وعدل على انهم ان نطقوا نطقوا بلسان الوحي ، وان فعلوا فعلوا بتسديد الله وعنايته .

وقد يسأل سائل : لماذا صبر يزيد على هذا التقريع والتوبيخ،والتهديد والوعيد ، وعلى لعنه ولعن آبائه ؟!..

ولماذا لم يسكت السيدة ، او يأمر بقتلها ، أو اخراجها ، وهو الحاكم المسيطر ؟!..

الجواب :

ان يزيد لم يسكت عن السيدة ، لانها امرأة ، والمرأة لا تعامل الا بالرفق واللطف .. كلا .. ان يزيد لا يردعه شيء .. كيف ؟ وقد تجرأ على قتل ريحانة الرسول ، وذبح اطفاله ، وسبي نسائه .. وانما سكت مذهولا من هول الصفعة ، ومما رأى من اضطراب المجلس باهله ، وسمع من الصرخات بسبه ولعنه ، حتى من اهله ونسائه .. فلقد اوقعته السيدة زينب بنبراتها وكلماتها في مأزق خطير لا يملك معه الا الاعتراف بعظمة الجريمة ، والا البراءة منها ، والقاءها على ابن زياد .

وبالتالي ، فان كلمات الزهراء بعد يوم السقيفة ، وكلمات ابنتها زينب في يوم كربلاء ، وبعده ، وكلمات الامام زين العابدين ، وام كلثوم وفاطمة بنت الحسين جميعها ترمي الى غرض واحد ، وهو اقامة الحجج والبراهين على ان اهل البيت هم اصحاب الحق في خلافة الرسول ، واولى بالطاعة ، وان من عارض وعاند فقد رد على الله ورسوله .

فاهل البيت اول من وضع اسس الحجاج لحقهم بالدليل والمنطق ، واول من تكلم في فضائلهم ومحاسنهم ، ومثالب اعدائهم ومساوئهم ، واول من اقام البراهين على وجوب التمسك بحبلهم ، والبراءة من اعدائهم ، ثم سار على هذا النهج كل موال ومحب لله ورسوله واهل بيته .

الدعوة لأهل البيت

لم يتوان اهل البيت لحظة في اعلان حقهم بخلافة جدهم الرسـول. وبكل ما فرض الله له على الناس من سلطان وطاعة وولاء .. فلقد اعلنوا هذا الحق ، على ان الله سبحانه قد خصهم به ، شاء الناس او أبوا ، تماماً كما خص محمداً بالنبوة ، اعلنوا هذا الحق ، ودعوا الى الايمان به بشتى الاساليب والوسائل ، واحتجوا له بمنطق العقل ، ونص الكتاب والسنة.

فما ان توفي النبي ، وتولى الخلافة ابو بكر ، حتى ذهبت الزهـراء بنفسها الى المسجد الجامع ، واعلنت هذا الحق ، واحتجت له في ملأ من الناس ، ومحضر الخليفة والاصحاب ، فأبكت النساء والرجال ، وبلبلت الافكار ، واعتذر اليها الانصار ، وحامت حول خلافة الاول الف شبهـة وشبهـة ..

ولا ادري على أي شيء اعتمد من قال : ان علياً لم يحتـج لحقه بالخلافة على ابي بكر ، وجهل او تجاهل ان احتجاج الزهراء هو احتجاج علي بالذات ، وانها لم تنطق الا بلسانه ، ولم تحتج الا بدليله وبرهانه .

هذا ، الى ان الامام لم يدع مناسبة الا اقام فيها الحجة البالغة على من جحد وعاند .. نذكر من ذلك على سبيل المثال قوله من على المنبـر « لقد تقمصها ابن ابي قحافة ، وهو يعلم ان محلي منها محل القطب من

الرحى » •• وقوله من كتاب له الى معاوية :

« إنّا صنائع ربنا ، والناس صنائع لنا ــ اي نحن اسراء فضل الله واحسانه ، والناس اسراء فضلنا واحساننا ــ •• وكتاب الله يجمع لنا ما شذ عنا ، وهو قوله « واولو الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله » وقوله تعالى « ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه ، وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين » فنحن مرة اولى بالقرابة ، وتارة اولى بالطاعة ، ولما احتج المهاجرون على الانصار يوم السقيفة برسول الله (ص) فلجوا عليهم ، فان يكن الفلج به فالحق لنا دونكم ، وان يكن بغيره فالانصار على دعواهم » (١) •

واحتج الحسن على معاوية ، والحسين على اهل الكوفة بالحديث المشهور « الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة •• وهما امامان قاما او قعدا » • وقالت السيدة زينب ليزيد فيما قالت : ما قتل الحسين غيرك. ولولاك لكان ابن مرجانة اقل واذل ، اما خشيت من الله بقتله ؟!•• وقد قال رسول الله فيه وفي اخيه : الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة•• فان قلت : لا ، فقد كذبت ، وان قلت : نعم ، فقد خصمت نفسك •• فقال يزيد : ذرية بعضها من بعض •

وقال الامام زين العابدين له ، قال المؤذن : اشهد ان محمداً رسول الله : هذا جدي او جدك يا يزيد •

---

(١) قال المفيد في كتاب « العيون والمحاسن » : زعم الجاحظ ان الكميت علم الشيعة الحجاج لتقديم آل محمد . وهذه حماقة وسخف من الجاحظ ، فان امير المؤمنين وابناءهم هم الذين احتجوا لحقهم ، وعلموا الناس الحجاج له ، وانما نظم الكميت ما قالوه واعلنوه ، بل ان متكلمي الشيعة قد احتجوا واستدلوا قبل الكميت ، وكذلك اصحاب امير المؤمنين .

وللامام السجاد اسلوب خاص وجديد في بث الدعوة لاهل البيت، ذلك انه لا يبرز هـذه الدعوة بصورتها بل يضفي عليهـا ثوب المناجاة والخضوع والتضرع الى الله سبحانه ، لتمر في عصر الامويين بسلام دون ان تثير اي اهتمام ، ويبدو ذلك جلياً لمن تتبع وتأمل مناجاته في الصحيفة السجادية .. فما مجد الله وشكره ، او سأله العفو والرحمة او اي شيء بجملة الا وقرنها بالصلاة على محمد وآل محمد ، بحيث يتجه القـاريء تلقائياً الى تعظيم اهل البيت وتقديسهم ، واقتران اسمهم باسم الله ، واسم جدهم رسول الله ، وهذا الاسلوب يحدث اثراً معيناً في النفس من حيث تريد ، او لا تريد .. وقد بلغت هذه الصلوات القمة في دعائه الذي كان يدعو به يوم عرفة .

قـال :

« رب صل على محمد وآل محمد صلاة تتصل ببقائك ، ولا ينفد اتصالها ، كما لا تنفد كلماتك ، رب صل على محمد وآله صـلاة تنتظم صلوات ملائكتك ، وانبيائك ، ورسلك ، واهل طاعتك ، وتشتمل علـى صلوات عبادك من جنك ، وانسك ، واهل اجابتك ، وتجتمع على صلاة كل من ذرأت وبرأت من اصناف خلقك . رب صل على محمد وآله صلاة تحيط بكل صلاة سالفة ومستأنفة . وصل عليه وعلى آله صلاة مرضيـة لك ولمن دونك . وتنشيء مع ذلك صلوات تضاعف معها تلك الصلوات، وتزيدها على كرور الايام زيادة في تضاعيف لا يعدها غيرك » .

طلب الامام من الله ان يصلي على الرسول وآله عدد الصلوات التي صلاها وتصليها الملائكة والانبياء والجن والانس ، وعدد التسبيحات التي

تسبحها بحمده جميع مخلوقاته من حيوان ونبات وجماد [1] وان نبقى صلواته عليهم ببقائه ، وتدوم بدوامه ، على ان تتضاعف في كل لحظة اضعافاً لا يحصيها الا هو •• وبديهة ان هذه الصلوات التي لا يعرف مداها الا الله ، ان هي ألا صدى لعظمة الرسول وآله ، ومكانهم عند الله وملائكته ورسله •

وهذه صورة اخرى اصرح واوضح في بث الدعوة لاهل البيت .قال:

« ربّ صلّ على اطايب اهل بيت محمد الذين اخترتهم لامرك، وجعلتهم خزنة علمك ، وحفظة دينك ، وخلفاءك في ارضك . وحجتك على عبادك ، وطهرتهم من الرجس تطهيراً » •

واطايب اهل البيت هم الذين نزلت بهم آية التطهير ، وآية المباهلة . وآية المودة ، وحديث الثقلين ، وحديث الموالاة ، وحديث المنزلة على انهم خزنة علمه وحفظة دينه ، وخلفاؤه في ارضه ، وهم محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين •

وقال طالباً من الله الصلوات والرحمة لشيعة اهل البيت :

« اللهم صلّ على محمد وآل محمد ، وصلّ على اوليائهم المعترفين بمقامهم المتبعين منهجهم المقتفين آثارهم . المتمسكين بولايتهم ، المؤتمين بامامتهم ، المسلمين لامرهم ، المجتهدين في طاعتهم ، المنتظرين ايامهم المادين اليهم اعينهم ، الصلوات المباركات الزاكيات •• وسلم عليهم وعلى ارواحهم ، واجمع على التقوى امرهم ، واصلح لهم شئونهم . وتب عليهم، انك انت التواب الرحيم ، وخير الغافرين ، واجعلنا معهم في دار السلام

---

(1) جاء في الآية ٤٤ سورة الاسراء : « وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم انه كان حليماً غفورا » .

برحمتك يا ارحم الراحمين » •

وليس من شك ان الدعاء للشيعة باصلاح شئونهم ، والتوبة عليهم . والمغفرة لهم ، دعاية صريحة لاهل البيت . والتمسك بولائهم ، ونشر مبادئهم ؛ وليست مبادئهم الا مباديء الاسلام وتعاليم القرآن •

ونقف قليلا عند قوله : « واجعلنا معهم في دار السلام » ، لنتساءل: كيف طلب الامام من الله سبحانه ان يجعله مع شيعة اهل البيت ، وهم الذين يرجون النجاة بشفاعته وشفاعة آبائه ، ويسألون الله ان يحشرهم في زمرته ، ويتخذونه الوسيلة الى رضوان الخالق ورحمته ؟••

الجواب

ان قوله هذا تواضع لله لا لسواه •• فان المعروف من طريقة آل الرسول اذا ناجوا ربهم خضعوا وتذللوا ، واتهموا انفسهم ، ولم يقيموا لها اي وزن •• والشواهد على ذلك لا يبلغها الاحصاء ، نذكر منها هذا المثال من اقوال الامام زين العابدين : « إلهي لا اجحد استحقاق عقوبتك، ولا ابريء نفسي من استيجاب نقمتك » •

هذا ، الى ان الامام اراد ان يعرف الشيعة المجتمعين على الخير والتقوى ان لهم عند الله الحسنى والدرجات العليا •

وبالتالي . فان اهل البيت قد ادركوا — منذ الساعة التي صُرف فيها الامر الى غيرهم — ان دين جدهم معرض للضياع والاخطار ، لأن من قام ويقوم بالامر لا يؤتمن على شيء •• لقد احسوا وعلموا مقدماً بهذا الخطر ؛ فحاولوا بكل سبيل ان يرشدوا الناس الى الحق واهله ، ويفهموا الاجيال ان الذين تولوا الحكم والسلطان باسم الدين ليسوا شهداء لله في ارضه ، ولا خلفاء للرسول في امره ونهيه . وانما الشهداء والخلفاء حقاً

هم الذين امر الله والرسول بولائهم والتمسك بحبلهم . هم الذيــن لا يفارقون الحق ، ولا يفارقهم الحق في قول او فعل ، يدور معهم كيفمــا داروا ، وانّى اتجهوا ، تماماً كالقرآن سواء بسواء •• وبديهة ان هــذا الوصف لا ينطبق الا على اهل البيت بشهادة حديث الثقلين •

لقد أراد اهل البيت ان تؤمن وتدين بهذا المبدأ الناس ، ولو طائفة من الناس ، ولا يهمهم بعد ذلــك ان يتولى الامر من يتولاه ، ومن اجل الايمان بهذا المبدأ كانت حادثة كربلاء وغيرها من الحوادث والمجازر •• وقد تم لهم ما ارادوا ، فهؤلاء شيعتهم في شرق الارض وغربهــا يحيون آثارهم ، ويقيمون شعائرهم ، وينشرون مناقبهم ومآثرهم •

صور من كربلاء

بكاء ابن سعد

حين وقف الحسين وحيداً في وسط المعركة ، وفي ساعتــه الاخيرة ، والالوف تحيط به من كل جانب صاح بأعلى صوته :

هل من ذابٌ عن حرم رسول الله ؟ (١)

هل من موحّد يخاف الله ؟•

هل من مغيث يرجو الله ؟•

فأغاثوه برمي السهام ، وطعن الرمــاح ، وضرب السيوف ، فثبت وصبر ، حتى قال من رآه : ما رأيت مكثوراً قط قتل ولده واهل بيتــه وصحبه اربط جأشاً منه ، ولا امضى جناناً ، ولا اجرأ مقداماً ••وكان يردد في موقفه هذا كلمات ، منها :

- لا حول ولا قوة الا بالله •
- اللهم انك ترى ما انا فيه •

---

(١) ذكرنا • فيما تقدم ، السر الذي من اجله حرج الحسين بحرم جده رسول الله ؛ واستغاثته هذه تعزز ما قلناه .

- إلهي ان كنت حبست عنا النصر . فاجعله لما هو خير منه .
- اللهم اجعل ما حلّ بنا في العاجل ذخيرة لنا في الآجل .
- لا والله لا اعطيكم بيدي اعطاء الذليل ، ولا افرّ فرار العبيد .
- اني ارجو ان يكرمني الله بالشهادة .
- صبراً على قضائك يا ربّ ، لا اله سواك ، يا غياث المستغيثين .

ولما نزف الدم من جسده الشريف ، ضعف وهوى على الارض ، فدنا عمر بن سعد في جماعة من اصحابه . فرآه يجود بنفسه . فبكى وسالت دموعه على لحيته ، ثم صاح ، وهو يبكي : انزلوا اليه واريحوه ..

بكى ابن سعد على الحسين ، وفي نفس الوقت امر بذبحه ..

وتدلّنا هذه الظاهرة على ان الانسان قد يتأثر وينفعل في موقف من المواقف من غير قصد وشعور . تماماً كما يتنفس . وبهذا نستطيع ان نفسّر بكاء المجرمين القساة . وهم يستمعون الى حديث كربلاء وفاجعتها .

وعن السيدة زينب انها قالت : حين استشهد اخي الحسين هجم العدو على خيامنا للسلب والنهب . ودخل الى خيمتي رجل ازرق العينين . فأخذ ما في الخيمة ، ونظر الى زين العابدين ، وهو على نطع ، وكان مريضاً . فجذبه من تحته ورماه الى الارض ، والتفت اليّ واخذ القناع من رأسي . وقرطين كانا في اذنيّ ، وجعل يعالجهما . ويبكي ، حتى انتزعهما .. فقلت له : تسلبني . وانت تبكي ؟! .. فقال : ابكي لمصابكم اهل البيت ..

وما يدرينا ان بعض من يبكي لمصاب اهل البيت يحمل روح هـذا المجرم ؟ ... وانه لو تسنى له ان يسلب الحوراء خمارها لفعل .. وايّ فرق بين ازرق العينين هذا ، وبين من لا يفعل ولا يترك الا على اساس منفعته

ومصلحته الخاصة ، غير مكترث بدين ولا بضمير ؟••

واني اقدم هذه الصورة ، صورة بكاء ازرق العينين . وسيده ابن سعد الذين يحسبون ان مجرد البكاء و « التباكي » يدخلهم الجنة ، ولو راءوا ونافقوا ، ودسّوا وتآمروا ، وتجسسوا وقبضوا ••

واقدمها للذين يصعدون على منبر سيد الشهداء ، يشيدون ببطولته وابائه . وعظته ومبادئه واعظين ومرشدين الى سبيله وهدايته ، حتى اذا نزلوا عنه طأطأوا رؤوسهم للوجهاء ، ومدوا ايديهم للاغنياء ••واني رأيت اكثر من مرة على منبر الحسين من يسبح بحمد الظالمين ، ويكيل لهم المديح والثناء ناسياً ان هذا المنبر قد نصب لمحاربة الظلم ومكافحة الاجرام ••

وايضاً اقدمها للذين يقضون حياتهم في معاقرة الخمرة ، واللعب في القمار ، وفي حوانيت الدعارة ، ولا ينطقون الا بالكفر والفسق ، وسبّ الاديان والمذاهب ، ولا يتعرفون على صوم ولا صلاة ، حتى اذا جاء يوم العاشر من المحَرم لبسوا الاكفان ، وضربوا الجباه بالسيوف ، والاكتاف بالسلاسل ، واظهروا الشيعة والتشيع بابشع الصور والمظاهر ، ووسموا الذكرى المقدسة باقبح السمات ، وافسحوا المجال للمفترين والمتقوّلين بأننا لا نصلح للحياة ، وان عقيدتنا بدعة وضلالة ، وسلحوا العدو باقوى سلاح وامضاه ، وقبعوا في بيوتهم لا يفكرون الا في انفسهم ، وتركوا غيرهم في وسط المعركة يكافح ويناضل بكل سلاح •

ان ذكرى الحسين ما زالت ولن تزال حيّة في القلوب ، فعلينا ان نستغلها لمرضاة الله ورسوله ، لصالح الاسلام والمسلمين ، وبث العلم والوعي ، وجمع الكلمة ، لا لاشاعة الجهل والتفريق ، والاتجار بالدين والعواطف •

ابتسام الحسين

روي ان شمراً . حين ارتقى الصدر الشريف . وهمّ بذبح الامام . ابتسم عليه افضل الصلاة والسلام . وقال لشمر :

أتعرفني من انا ؟•

قال اللعين : اجل ، حق المعرفة •• جدك محمد المصطفى ،وابوك علي المرتضى ، وامك فاطمة الزهراء ، وخصمي العلي الاعلى ••

لم يتعجب الحسين لهذه المفاجأة التي يحسب كل انسان انها محال. حتى في التصور والخيال ، وانما ابتسم مستبشراً بالشهادة ولقاء جده وابيه ، وامه واخيه ، وبالرحلة من دار البلاء والفناء الى دار النعيم والبقاء. تماماً كما استبشر ابوه من قبل بضربة ابن ملجم ، وقال : « فزتُ وربّ الكعبة » •• وروي ان الحسين كان في يوم الطف ، كلما اشتد الامر، اشرق وجهه ، وهدأت جوارحه ، وسكنت نفسه . حتى قال الناس بعضهم لبعض: انظروا لا يبالي بالموت ••

ولم يقل الحسين لشمر : هل تعرفني ؟ ليقيم عليه الحجة ،لأنها قائمة عليه ، ولا رجاء ان يتعظ ويرتدع ، لان الاتعاظ في حقه اكثر من محال. وانما سأله هذا السؤال ليعلمه الى اي حد بلغ منه اللؤم والضعة والجرأة على الله والرسول •• واجاب شمر بما اجاب مستخفاً بالله ونبيه وبجميع الاخلاق والقيم •

وقد يسأل سائل : كيف تجرأ الشمر واقدم على ما اقدم عليه ؟!• كيف بلغت القسوة منه هذا المبلغ ؟!• هل هو من البشر . او من طبيعة اخرى ؟!•

الجواب

ان الشمر فرد من الناس لا يختلف عنهم في لحمه ودمه ، ولا في طبيعته وفطرته التي خلق عليها اول ما خلق ـ ولا في شيء الا انه مارس الذنوب ، واعتادها ، وتمادى فيها ، واستهان بمعصية الله ، حتى اصبحت عنده كشرب الماء ، ومن كانت هذه حاله قسا قلبه ، وعميت بصيرته ، ولم يعد يبالي بشيء مهما كان ويكون .. قال امير المؤمنين : « ما قست القلوب الا لكثرة الذنوب » وقال تعالى : « بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون » .

وهكذا كلّ من تمادى في غيّه ، واستخفّ بدينه ،ولم يخش حساباً ولا عقابا ، يجوز عليه ان يقدم على ما اقدم الشمر ، قال الامام الصادق : اذا اذنب الرجل خرج من قلبه نكتة سوداء ، فان تاب زالت ، وان زاد ازدادت ، حتى تغلب على قلبه ، فلا يصلح بعدها ابداً .

المرتزقة

خطب الحسين في جيش ابن سعد مرتين ، وممّا قاله في الخطبة الاولى:

ايها الناس انسبوني من انا ، ثم ارجعوا الى انفسكم وعاتبوها : هل يحلّ لكم قتلي ، وانتهاك حرمتي ؟.. ألست ابن بنت نبيكم ،وابن وصيه وابن عمه ، وأول المؤمنين ، والمصدق لرسوله بما جاء من عند ربه ؟..

فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري فيكم ولا في غيركم.. ويحكم اتطلبوني بقتيل منكم قتلته ، او مال لكم استهلكته ، او بقصاص جراحة ؟ .

فقال قائل منهم ، وهو قيس بن الاشعث : انزل على حكم يزيد .

فقال الحسين : والله لا اعطيك بيدي اعطاء الذليل . ولا افرّ فرار العبيد ••

وذكّرهم في الخطبة الثانية بجده وابيه وعمه حمزة ، وسألهم : لماذا يقدمون على قتله ؟••

فقالوا : طاعة للامير عبيدالله بن زياد ••

هذي هي لغة المرتزقين المأجورين الذين يطبلون ويزمرون في كل عرس يدفع الاجر ، اما المبادىء والاخلاق ، اما الدين والعلم فكلام فارغ •• سألهم الحسين عن مكانته فيهم ؟• وهل اساء اليهم ، والى احد منهم ؟•• فاقرّوا واعترفوا بانه قدس الاقداس ، وانه خير الناس اباً واماً ، ولكن الامير هكذا اراد •• وهو طوع لما يريد ••

وقال لهم : كيف تناصرون اعداء الله على اولياء الله « من غير عدل افشوه فيكم ، ولا امل اصبح لكم فيهم ؟•• » فوضعوا اصابعهم في آذانهم ، وأبو الاّ طاعة اللئام ، لا بغضاً للنبي واهل بيته ـ كما يظن ـ ولا حبّاً بابي سفيان وآل ابي سفيان ، كلا ، والف كلا •• بل لانهم مرتزقة ، وكفى •• ولو كانت الدنيا مع الحسين لكانوا معه على الامويين ، ولفعلوا بهم اكثر مما فعلوا به وبأهله ، لو اراد •

هذا هو مبدأ المرتزقة في كل عصر ومصر •• يصنعون كل شيء يجر اليهم النفع •• فيطيعون الامير والزعيم ، ولو كان يزيد وابن زياد ، ويقتلون الصادق الامين ، ولو كان محمّداً او حسيناً ••

وبعد ، فاذا رأيت من يسير في ركاب زعماء هذا العصر وحكامه فاحكم بانه محترف ، حتى ولو توجع وتفجع لمصاب اهل البيت •• ولا تشك بان الحسين لو كان حيّاً ، وامره الزعيم بقتاله لاقدم ؛ واوجد لنفسه الف مبرّر ومبرّر •

في طريق الشام

القربـان

بعد ان قتل الحسين وقفت سيدة الطف عند جسده الشريف ، ثم نظرت الى السماء ، وقالت :

« اللهم تقبل منا هذا القليل من القربان » .. (١)

من أي معدن هذه الروح التي عرفت حقيقة الحسين وعظمته عنـد وابيها علي ، وامها فاطمة ، واخيها الحسن ، ولكنها تعرف ايضاً عظمة الدين، الله وطاعته ومرضاته ؟..

اجل ، انها تعرف عظمة الحسين ، بل ترى فيه شخص جدها محمد ، وقد حاول الامويون القضاء عليه ، فقدم آل الرسول الحسين فداء له. وانه يفدى بكل عظيم ، ويضحى في سبيله ، حتى بالانبياء والاوصياء .. فحياة الحسين عظيمة وغالية ، كحياة جده وابيه ، ولكن الدين اغلى واثمن، وقد حاول الامويون القضاء عليه . فقدم آل الرسول الحسين فداء له .

وتضرعت سيدة الطف الى الله سبحانه ان يتقبل هذا القربان القليل.

---

(١) « زينب الكبرى » للنقدي عن كتاب « الطراز المذهب » .

لانها لا تستكثر شيئاً في سبيل الله وطاعته : حتى قتل اخيها ، وذبح ابنائها ، والسير بها مسبية من بلد الى بلد •• لقد قدم ابراهيم على ذبح ولده اسماعيل طاعة لله ، واستسلم الولد مختاراً للذبح امتثالا لامر الله ••وهكذا سيدة الطف استسلمت لقضاء الله ، ورضيت به ، ولم تستكثر وتستعظم ما حلّ بها ، تماماً كما استسلم ابراهيم واسماعيل لامر الله وارادته •

شان اهل البيت

ارتحل ابن سعد بجيشه من كربلاء في زوال اليوم الحادي عشر من المحرم ، ومعه نساء الحسين وصبيته وجواريه ، وبعض نساء اصحابه الذين استشهدوا معه ، وكانت النساء عشرين امرأة ، والامام زين العابدين ، وولده الامام الباقر ، وكان له من العمر سنتان وشهور ، وثلاثة من ابناء الإمام الحسن ، وهم الحسن المعروف بالمثنى ، وزيد ، وعمر ، وطلبت النسوة من جيش الطغاة ان يمروا بهن على القتلى •• وحين نظرن الى جسد الحسين صحن وبكين ، لطمن الخدود ، فاشتدت الحال على الامام السجاد ، وجاد بنفسه ، وقد انهكه المرض ، فقالت له سيدة الطف :

« مالي اراك تجود بنفسك يا بقية جدي وابي واخوتي ؟•• فوالله ان هذا لعهد من الله الى جدك وابيك •• ان قبر ابيك سيكون علماً لا يدرس اثره ، ولا يمحى رسمه على كرور الليالي والايام ، وليجتهد أئمة الكفر ، واشياع الضلال في محوه وتطميسه ، فلا يزداد اثره الا علواً » •

واذا اخذت الامام الرقة والرحمة على ابيه ، وهو على حاله تلك ، فقد حزن وبكى النبي على ولده ابراهيم ، حتى قال له بعض اصحابه :

ما هذا يا رسول الله ؟•

فقال : انها الرحمة التي جعلها في بني آدم ، وانما يرحم الله من عباده

الرحماء •• ان العين تدمع ، والقلب يحزن ، ولا نقول الا ما يرضي الرب•

وآل الرسول هم اهل بيت النبوة والرحمة ، يحزنون رحمة ،ويبكون رقة ، ولا يقولون ما يسخط الرب ، بل يرضون بقضائـه ، ويستسلمون لمشيئته ، وقد جاء في مناجاة الامام السجاد :« اللهم سهل علينا ما نستصعب من حكمك ، والهمنا القياد لما اوردت علينـا من مشيئتك ، حتى لا نحب تأخير ما عجلت ، ولا تعجيل ما أخرت ، ولا نكره ما احببت ، ولا نتخير ما كرهت ، واختم لنا بالتي هي احمد عاقبة ، واكرم مصيراً » • وبهذا ، بحسن العاقبة والمصير ، بشرت السيدة ابن اخيها الامام ، رغم ما هما عليه من الاسر والسبي •

لقد تألبت قريش على رسول الله ، واتفقت على تكذيبه وايذائـه ، والقضاء على دعوته بكل وسيلة •• فاغرت به سفهاءها ، يرشقونه بالاحجار ، ويضعون في طريقه الاشواك ، ويلقون عليه الاوساخ ، وهو في الصلاة ، وعذبت اتباعه ، حتى الموت ، وكان لا يملك دفاعاً عنهم ولا عن نفسـه ، ومع ذلك كله يقول لانصار دين الله : سترثون ارض الملوك والجبـابرة وتأخذون اموالهم ، وتفترشون نساءهم ••

وقالت سيدة الطف ، وهي اسيرة مسبية ، ورجالها جثث بلا رؤوس ، قالت : المستقبل لذكرنا ، والعظمة لرجالنا ، والحياة لآثارنا ، والعلـو لاعتابنا ، والولاء لنا وحدنا ، وجابهت يزيد بهذه الحقيقة ،وهو في عرشه ، وهي اسيرة في مجلسه ، وصرخت فيه قائلة : كد كيدك ، واسع سعيـك ، وناصب جهدك ، فوالله لا تمحو ذكرنا ، ولا تميت وحينا ••

وصدقت نبوءة السيدة ، فولاؤهم تدين به الملايين ،وتعاليمهم تدرس في الجامعات والمدارس من مئات السنين ، ومناقبهم تعلن على المنابر ليـل

نهار ، وقبورهم ، كالاعلام على رؤوس الجبال ، يحج اليها الناس من كل فجّ عميق •

ان الامويين والعباسيين ، ومعهــم الانس والجن لا يستطيعون ان يمحوا ذكر اهل البيت الا اذا استطاعوا أن يطفئوا نور الله ، واسم محمد ابن عبدالله ، ويأبى الله الا ان يتمّ نوره بمحمد واهل بيت محمــد ، ولو كره المشركون •

تكريت

عن كتاب « المنتخب » ان عبيدالله بن زياد دعا شمر بن ذي الجوشن، وشبث بن ربعي ، وعمرو بن الحجاج ، وضم اليهم الف فارس ، وامرهم بايصال السبايا والرؤوس الى الشام •

وقال ابو مخنف : مرّ هؤلاء في طريقهم بمدينة تكريت ، وكان فيها عدد من النصارى ، فلما حاولوا ان يدخلوها اجتمع القسيسون والرهبان في الكنائس . وضربوا النواقيس حزناً على الحسين ، وقالوا : إنا نبرأ من قوم قتلوا ابن بنت نبيهم ، فلم يجرؤوا على دخول المدينة ، وباتوا ليلتهم في البرية •

وهكذا كانوا يقابلون بالجفاء والاعراض كلما مرّوا بدير من الاديرة، او بلد من بلدان النصارى •

لينــا

وحين دخلوا مدينة « لينا » ، وكانت عامرة بالناس ، تظاهر اهلهــا رجالا ونساء ، وشيباً وشباناً ، وهتفوا بالصلاة على الحسين وجده وابيه،

ولعن الامويين واشياعهم واتباعهم ، وصرخوا في وجوه الطغاة : يا قتلة اولاد الانبياء اخرجوا من بلدنا .

جهينة

وارادوا الدخول الى « جهينة » فبلغهم ان اهلها تجمعوا وتحالفوا على قتالهم اذا وَطِئوا ارض بلدهم ، فعدلوا عنها ، ولم يدخلوها .

معرة النعمان

ودخلوا معرّة النعمان فاستقبلهم اهلها بالترحاب ، وقدموا اهم الطعام والشراب ، والمعرة هذه هي بلدة الشاعر الشهير ابي العلاء الذي قال :

اليس قريشكم قتلت حسيناً وصار على خلافتكم يزيد

وقال :

وعلى الافق من دماء الشهيدَين علي ونجله شاهدانِ

كفر طاب

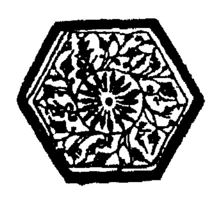
واتوا حصن « كفر طاب » ، فاغلق اهلها الابواب في وجوههم، فطلبوا منهم الماء . فقال اهل الحصن : والله لا نسقيكم قطرة ، وانتم منعتم الحسين واصحابه من الماء .

حمص

ولما دخلوا حمص تظاهر اهلها ، وهتفوا : أكفراً بعد ايمان ، وضلالا بعد هدى ؟ وقتلوا منهم رشقاً بالحجارة ٢٦ فارساً .

بعلبـك

قال صاحب كتاب « الدمعة الساكبة » : حين دخل جيش الشرك الى بعلبك ، ومعهم السبايا والاطفال ، زينت المدينة ، ونشرت الاعلام ، ودقت الدفوف ، وضربت البوقات ، وقدموا للطغاة الطعام والشراب والحلوى .



أدب الشيعة

الشيخ عبد الحسيب طه حسيدة عالم مصري من علماء الازهر ومدرس في كلية اللغة العربية ، الف كتاباً اسماه « ادب الشيعة .. الى نهاية القرن الثاني الهجري » . اثبت فيه بالارقام ان ادب الشيعة صميم في عروبته ، عنيف في ثورته ، وانه قد تظاهرت على ابرازه العاطفة ، والاحساس ، والعقيدة ، وانه لذلك كان جديراً بالحياة ، وان الشيعة قد تعرضوا للاذى في سبيل عقيدتهم وحريتهم ، فلم يزدادوا الا تمسكا بالحرية والعقيدة .

وكشف المؤلف عن اسرار وجهات في ادب الشيعة لم يسبقه احد الى شرحها وتبسيطها — فيما اعلم — وجرى قلمه بالعلم والحق في كل ما سطره عن حقيقة هذا الادب واغراضه وصلته بالحياة ، كمحاربته للظلم والطغيان، ولكنه — يا للاسف — قد انحرف به القلم عن غير قصد الى الاخطاء والاغلاط ، وهو يتحدث عن عقيدة الشيعة ، وخلط بين الفرق المحقة الناجية . وبين الفرق المغالية البائدة ، فكان في حديثه هذا كغيره من الذين نسبوا الى الشيعة اشياء لا يعلمونها ،والذي اوقع الشيخ في الخلط والاشتباه اعتماده على « ولهوسن » و « دوزي » ، و « فان فلوتن » وغيرهم من المستشرقين والمفترين [1] ، وكان عليه ان يعتمد على كتب العقائد عند

---

(١) انظر الفصل الثالث من كتاب « ادب الشيعة » بخاصة ص ٧٥ الطبعة الاولى .

الشيعة انفسهم ، ككتاب شرح التجريد للعلامة الحلي ، واوائل المقالات للمفيد ، والعقائد للصدوق ، ومع الشيعة الأمامية للمؤلف ، وغيره كثير.

ومهما يكن ، فنحن نحيي المؤلف ، ونسنح ثقتنا الكاملة ، وتقديرنا البالغ لكل ما جاء في الكتاب ، ما عدا الفصل الثالث ، وما يتصل به من نسبة الغلو ، والرجعة ، والتناسخ ، والسبئية [1] وما الى ذلك ، الى عقيدة الشيعة بوجه عام ، نقول هذا مع الاعتراف بان المؤلف لم يتعمد الاساءة الى الشيعة ، كيف ؟ وقد اعترف لهم بالفضل في اشياء كثيرة وانما نلاحظ عليه اعتماده في حديثه عن عقيدة التشيع على غبي جاهل ، او دساس خائن ، واهماله المصادر الشيعية الصحيحة .

ومهما يكن ، فان الغرض من هذا الفصل ان نذكر فيه مقتطفات من اقوال المؤلف ، تصور ادب الشيعة ، والأهداف التي يرمي اليها ، بخاصة فيما يتعلق بحادثة كربلاء ، قال :

« ان ادب الشيعة اخذ من لغة الآباء لغته والفاظه ، ومن القرآن والحديث اسلوبه وحججه ، ومن عقليات العراق وحضارته معانيه واخيلته، ثم استخدم ذلك في اغراضه الشيعية : حب آل الرسول ، والاخلاص لقرابته ، والاحتجاج لحقهم في الخلافة ، ومنافحة خصومهم من امويين وزبيريين ، وخوارج وعباسيين ، ورثاء قتلاهم ، ومدح عقيدتهم .

وكانت حادثة كربلاء الملطخة بدماء الحسين وآل بيت الرسول حداً فاصلا بين طورين من اطوار هذا الادب الخصب . كان حباً صادقاً . ومدحاً خالصاً ، وموازنة جريئة ، وحجاجاً عربياً صريحا . مؤسسا على نظرة العربي الذي هذبه الاسلام للرياسة ، وبيت الرياسة ، فاسبق الناس الى

(١) ألف السيد مرتضى العسكري كتابا اسماه « عبدالله بن سبا » عرض فيه الادلة القاطعة على ان ابن سبا اسطورة لا وجود له ابداً .

الاسلام ، وامسهم رحما بالرسول ، واشدهم جهادا للعدو وبلاء في نصـرة الدين ، احق الناس بخلافة المسلمين وزعامتهم ، وذلك كله قد اجتمع لعلي ابن ابي طالب . لفضله وسبقه وقرابته وجهاده .

كانت حادثة كربلاء ، تلك الحادثة المروعة المشئومة ، فاتحـة طـور جديد من اطوار هذا الادب الشيعي .. كما كانت ذات اثر عميق في النفوس الاسلامية ، والعقائد الشيعية ، والحياة السياسية ؛ والواقع ان قتل الحسين على هذه الصورة الغادرة ؛ والحسين هو من هو دينا ومكانة بين المسلمين لا بد ان يلهب المشاعر ، ويرهف الاحاسيس ، ويطلق الالسن ، ويترك في النفس الاسلامية اثراً حزيناً دامياً ، ويجمع القلوب حول هـذا البيت المنكـوب .

نعم . ولا بد ان يكبر الناس هذا التنكيل الجائر ، والتمثيل الشائن بعترة الرسول ؛ وسلالته ، وفلذات كبده ، وقرة عينه ، ويروا فيه اذاية له ، وكفراناً بحقه ، وتعرضاً لغضبه :

ماذا تقولون ان قـال النبي لكـم	ماذا فعلتم وانتـم آخر الامـم
بعتـرتي وباهلي بعـد مفتقـدي	نصف اسارى ونصف ضرجوا بدم
ما كان هذا جزائي اذ نصحت لكم	ان تخلفوني بشر في ذوي رحمي

فبهذا وامثاله قامت النائحات في العواصم الاسلامية يندبن الحسين ، ويبكين مصرعه ، وبهذا وامثاله انطلقت الالسن الشاعـرة ترثي ابن بنت الرسول ؛ وتصور اسف النبي في قبره ؛ وحزنه على سبطه ، واحتجاجه على امته ، وتلقي على بني حرب سوء فعلهم ، وقبح ضلالتهم ، وجور سلطانهم ، وتسجل ، في صراحة وعنف ، مروقهم عن الدين وانتهاكم لحرم الله .

وهال الناس هذا الحادث الجلل ، حتـى الامويين انفسهم ؛ فاقض

المضاجع ، واذهل العقول ، وارتسم في الاذهان ، وصار شغل الجماهير ، وحديث النوادي .

ومكث الناس شهرين او ثلاثة كأنما تلطخ الحوائط بالدماء ساعة تطلع الشمس ، حتى ترتفع ، ورأى من حمل رأس الحسين نوراً يسطع مثل العمود الى الرأس وطيراً بيضاء ترفرف حوله ، ورأى ابن عباس النبي في الليلة التي قتل فيها الحسين ، وبيده قارورة ، وهو يجمع فيها دماء ؛ فسأله: ما هذا يا رسول الله ؟ قال : دماء الحسين واصحابه ارفعها الى الله تعالى.

وامثال هذا كثير ، نراه في الطبري ، وابن الاثير ، والاغاني ، والعقد الفريد ، وصبح الاعشى [1] .

ومهما يكن من شيء ، فقد صبغت حادثة الحسين ، ولا تزال تصبغ ادب الشيعة بالحزن العميق ، والرثاء النائح ، والمدح المبتهل ، والعصبية الحاقدة ، وامدته بمدد زاخر من المعاني والاخيلة والعواطف ، فعززت مادته ، واتسع مجال القول فيه ، وغدونا امام ادب تبعثه عاطفتان بارزتان: عاطفة الحزن ، وعاطفة الغضب ، تصدره الاولى حزيناً باكياً ، وتبعثه الثانية قوياً ثائراً .

والعاطفة اقوى دعائم الادب ؛ فاذا اثيرت وهاجت . وكان بجانبها لسان طلق ، وبيان ناصع ، ونفس شاعرة متوثبة ، فهناك الادب الحي . والقول الساحر ؛ وكذلك كان الشيعة . تجمعت لهم كل عناصر الادب : لسان وعاطفة ، وفواجع من شأنها ان تستنزف الدم ، وتذيب القلب ، وتنطق الاخرس ، فقالوا ، وبكوا : قالوا في الحق وطلبه ، والارث وغصبه.

وبكوا على حق ضاع ، ودم اريق ، وحرمات انتهكت ، وبيوت

---

(١) وابن حجر ، والثعلبي ، وابو نعيم . وسبط ابن الجوزي ، والبيهقي ، وابن سيرين وابن الفقطي ، والترمذي ، وغيرهم .

دمرت ، وجثث كريمة على الله والناس مثل بها ابشع تمثيل ، وافتنان اموي اثيم في الفتك بالطالبيين وشيعتهم . فقتل ، وصلب ،واحراق وتذرية، وهم يقابلون ذلك بالشجاعة والصبر والاحتساب .

وكانت القصائد الباكية ، والخطب الرائعة . والاقوال الدامية [1] صدى لهذه الدماء المسفوحة ، والجثث المطروحة ، تبعث ذكراها في كل قلب حزناً ، فيبعث الحزن أدبا ، يصور الآلام ، ويعلن الفضائل ،ويستميل القلوب ، ويسجل العقائد ، ويشرح القضية الشيعية ، ويحتج لها في صراحة وعنف ، فيتناولها من اطرافها ، متفننا في كل ذلك ، فمفاضلة جزئية ، ومعارضة شديدة ، ومناقشة فقهية ، ودعاية حزبية » .

نقلنا هذه المقتطفات ، وهي قليل من كثير – اولا – لانها تتصل اتصالا وثيقاً بموضوع الكتاب – ثانياً – لانها من شيخ ازهري – ثالثاً – لننبه الى هذا الكتاب القيم الذي لم يؤلف مثله في موضوعه ، والذي يجب ان يقرأه كل عالم وكاتب وطالب .. والغريب ان يكون مجهولا لدى كثير من الشيعة ، وهو فيهم ولهم ، وقد مضى على تأليفه اكثر من ست سنوات.

واذا دل جهلنا بهذا الكتاب وما اليه على كل شيء فانما يدل على اننا بعيدون عن الحياة كل البعد ، بعيدون ، حتى عن تاريخنا ، وانفسنا وواقعنا .. لقد ادرنا ظهورنا الى المطابع ، وما تخرجه من كتب وصحف، تصور حياة الناس ، كل الناس ، واستقبلنا بوجوهنا المادة ، فلا نفكر الا بها ، ولا نفتح اعيننا الا عليها ، ولا نمد ايدينا الا اليها ، ولا نستطعم شيئاً سواها ، ومن اجلها نبغض ونحب ، ونقف على الابواب نطبل ونزمر للزعماء وابناء الدنيا . ومع ذلك نحن اعلم الناس ، واحس الناس ، واشرف من في الكون ..

---

[1] والمؤلفات التي ملأت المكاتب في الفضائل والمناقب .

قبر السيدة

انتقلت السيدة الى جوار ربها ورحمتــه في ١٥ رجب سنة ٦٥هـ • فعاشت بعد اخيها الحسين ٤ سنوات ، و٦ اشهر ، و ٥ ايام • وقيل : انها اول من لحق به من اهل بيته •

واختلفوا في قبرها على ثلاثة اقوال :

القول الاول : انها دفنت في مدينة جدها رسول الله ؛ ومال الى ذلك المرحوم السيد محسن الأمين في ج ٣٣ من الأعيان مستدلا بانه قــد ثبت دخولها الى المدينة ، ولم يثبت خروجها ؛ فنبقي ما كان علــى ما كان •• وكأنه عليه الرحمة يتمسك بالاستصحاب لاثبات دفنها بالمدينة •• وبديهــة ان الاخذ بالاستصحاب هنا لا يعتمد على اساس •

لأن موضوع الاستصحاب ان نعلم بوجود الشيء ، ثم نشك فــي ارتفاعه ؛ بحيث يكون المعلوم هو المشكوك بالذات ؛ كما لو فرض انعلمنا بدفن الجثمان الشريف في المدينة قطعاً ، ثم شككنا : هل نقل الى بلد آخر ، او بقي حيث كان • فنستصحب • ونبقي ما كان علــى ماكان • لاتحاد الموضوع • اما اذا علمنا بدخولها الى المدينة • ثم شككنا في محل قبرها فلا يمكن الاستصحاب بحال • لأن الدخول الى المدينة شيء . والقبــر

شيء آخر •• واثبات اللازم باستصحاب الملزوم باطل • كما تقــرر في علم الأصول •

ثم لو كان قبرها في المدينة لعرف واشتهر • وكان مزاراً للمؤمنــين كغيره من قبور الصالحات والصالحين •

القول الثاني : انها دفنت في قرية بضواحي دمشق • اي في المقــام المعروف بقبر الست ولم ينقل هذا القول عن احد من ثقاب المتقدمين•

القول الثالث : انها دفنت في مصر • ونقــل هذا عن جماعة منهــم العبيدلي ، وابن عساكر الدمشقي ، وابن طولون ، وغيرهم •

ويلاحظ ان علماءنا الذين عليهــم الاعتماد ، كالكليني والصدوق والمفيد والطوسي والحلي لم يتعرضوا لمكان قبرها ، حتى نرجح بقولهم كلا أو بعضا احد الاقوال الثلاثة ، فلم يبق الا الشهوة بين الناس•ولكن الشهرة عند اهل الشام تعارضها الشهرة عند اهل مصر ••

وهكذا لا يمكن الجزم بشيء •• وليس من شك ان زيارة المشهد المشهور بالشام ، والجامع المعروف بمصر بقصد التقرب الى الله سبحانــه تعظيماً لاهل البيت الذين قربهم الله ، ورفع درجاتهــم ومنازلهم ،حسنة وراجحة ، لان الغرض اعلان الفضائل ، وتعظيم الشعائر ،والمكان وسيلة لا غاية ، وقد جاء في الحديث : « نية المرء خير من عمله » •

— تــم —


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مَقالات في أهل البَيت



الحسين ومعنى الاستشهاد

بقلم كمال النجمي

في طباعة كويتية انيقة ، صدرت هذه المسرحية الشعرية ذات الفصول الخمسة والمناظر العشرين ...

طباعتها كويتية لان مؤلفها الشاعر المصري الشاب محمد العفيفي مقيم في الكويت الآن ، يعمل مدرسا او موظفا بعد أن عمل في الصحافة المصرية بضع سنوات .

وقد رحلت معه الى الكويت شاعريته ، وسوف تعود معه حين يعود ، لانها شاعرية حقيقية اشبه بشاعرية اعرابي قديم مطبوع على قول الشعر حيثما كان !..

والعفيفي يكاد يكون غريبا بين شعراء زماننا ، فان فصاحة بيانه تلحقه بالاقدمين ، ولكن تطور فنه الشعري يلحقه بالاحدثين . وقد نجا من عجمة الشعارير الشبان ادعياء التجديد ، ومن جمود الشعراء الكهول النائمين على التراث ، ولكن العوائق في طريقه لم تتح له حتى الآن بلوغ المرام !..

ومسرحيته الشعرية الجديدة التي طارت الينا من الكويت ، هي ثالث

---

(١) مجلة المصور المصرية تاريخ ٦-٣-١٩٧٠

مسرحياته الشعرية ، وله ايضا ديوانان من الشعر الغنائي ••

عنوان المسرحية الجديدة : « هكذا تكلم الحسين » •• فهل تقوم هذه المسرحية على كلام الحسين ؟! وكيف يمكن ان تقوم مسرحية على الكلام لا على الفعل وقد قرر سادتنا نقاد الدراما في صحائفهم المهيبة ان المسرح فعل لا كلام ؟!•

الحقيقة ان العفيفي كان يسعه ان يسمي مسرحيته : « هكذا فعل الحسين » •• لولا ان الحسين حين قال فعل ، فكلامه كان دعوة الى عمل ، وبداية عمل ، ودفاعا عن عمل •• وفي النهاية مشى الى الحرب ليصبح كلامه حياة وموتا •• مقاومة واستشهادا !••

اراد الشاعر ان يبين بالفعل او بالدراما ان الكلمة حين تنبعث مخلصة صادقة ، لا تنطفىء في العواصف بل تتضوأ عملا ونجاحا ، او تشتعل مقاومة واستشهادا • واذا فاتها الصدق والاخلاص ، فما أفدح الكارثة وما ارخص الكلام !••

مع ذلك ، فعنوان المسرحية ليس كبير الاهمية ، بل ليس مهما على الاطلاق •• المهم حقا هو المسرحية ذاتها بفنها وفكرها وشعرها وصراعها وما تضيفه الى المسرح الشعري العربي الذي ما زال منذ بدأه شوقي قبل اربعين عاما يخطو بعناء كأنه يخطو على الاشواك !•

والامام الحسين بن علي — بطل المسرحية — شخصية تاريخية لا يجهلها احد • وما زال التاريخ مهجرا خصبا للشعر المسرحي في العالم كله قديما وحديثا ، لان الشخصيات التاريخية بطبيعة الحال هالات خاصة ترفعها فوق الواقع المعاشر ، فاذا نطقت شعرا لم يستشعر جمهور المسرح تكلفا فيما يسمع من هذا الشعر ولو كان فخما جزلا ، موزونا مقفى ••

الا أن التاريخ وان كان مهجراً للشعر المسرحي فانه ليس حيلة يهرب بها من الحياة المعاصرة • واذا فرغت المسرحية الشعرية من مضمون قادر على مخاطبة العصر فرغت من الحياة •

ومسرحية « هكذا تكلم الحسين » تعود بنا سياسيا وفكريا الى القرن الاول الهجري ، ولكنها تقف على خشبة عصرنا بمضمون لم يستنفد اغراضه ، فضلا عن انها بغير هذا المضمون الانساني الشامل قادرة على مخاطبة جمهور ديني خاص ، هو جمهور الشيعة ، ومأساة الحسين جرح في قلب هذا الجمهور لا يندمل !••

تدور المسرحية حول الصراع بين الامام الحسين بن علي وبين الخليفة يزيد بن معاويه الذي طلب البيعة في بداية خلافته من الحسين وانصاره في مدينة الرسول ، فغادرها الحسين متوجها الى الكوفة في العراق استجابة لدعوة اهلها ، ولكن جند يزيد حالوا بين الحسين وبين الكوفة ، وحاصروه في كربلاء ومنعوا عنه الماء ، وكان جند يزيد بضعة آلاف ، ولم يكن يصحب الحسين إلا بضع عشرات من انصاره وبعض الاطفال والنساء من آل بيته ••

وقال جند يزيد للحسين : بايع ليزيد ، نرفع عنك الحصار ولا ينلك منا اذى وتذهب حيث اردت !•• فلم يبايع ، وصمم على معارضةيزيد ، لانه تولى الخلافة عنوة واحالها الى فراش غرام ومجلس شراب ، وانتهك حدود الدين وظلم العباد وافسد في البلاد ••

وجادل الحسين قادة جند يزيد مجادلة بليغة طويلة حتى اوشك بعض الجند ان ينضموا اليه مقتنعين بوجهة نظره ، ولكن السيف تكلم في آخر الامر ، وعصفت السهام والنبال ، فاستشهد الحسينورجالهالقلائل الشجعان في حرب غير متكافئة كان الرجل منهم يقاتل فيها مائة او اكثر

من جند الخليفة المغتصب للخلافة •• انهزمت كلمات الحسين وانتصرت اسلحة يزيد •

كان الحسين مناضلا بالقول والعمل ، على طريقة المسلمين الاولين، وشتان بينها وبين طريقة اهل الطريق والصوفيين • ولو كان الحسين متصوفا لقبع في داره او لجأ الى «الخانقاه» يتعبد ويأكل من مال السلطان•

ولكن الحسين خرج يتكلم ويرشد الناس ويزع المفسدين ويجادلهم• ثم مشى الى الحرب ليصبح كلامه حياة وموتا •• مقاومة واستشهادا •



السيدة زينب

قال عليه الصلاة والسلام ، « اربعة انا لهم شفيع يوم القيامة ، المكرم لذريتي والقاضي لهم الحوائج والساعي لهم في امورهم عندما اضطـروا اليه ، والمحب لهم بقلبه ولسانه » .

والسيدة زينب رضي الله عنها من هذه الذريـة الطاهرة الصالحـة المؤمنة ، امها فاطمة الزهراء بنت الرسول عليه الصلاة والسلام،وابوها علي بن ابي طالب كرم الله وجهه .

ولدت في شعبان من السنة الخامسة للهجرة،فحملتها امها وجاءت بها الى ابيها وقالت :

ـ سم هذه المولودة .

فقال لها رضي الله عنـه :

ما كنت لاسبق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان في سفر له.

ولما جاء النبي وسأله عن اسمها قال :

ما كنت لاسبق ربي .

(١) جريدة الجمهورية المصرية ٣١ـ١٠ـ١٩٧٢

فهبط جبريل يقرأ على النبي السلام من الله الجليل وقال له :

اسم هذه المولودة زينب ، فقد اختار الله لها هذا الاسم •

ولقيت زينب من جدها الاعظم كل عطف ومحبة وحنان واسبغ الله عليها نور النبوة والحكمة ، ودرجت تلك الدرة في بيت الرسالة ورضعت لبان الوحي من لدى الزهراء البتول •

وللسيدة زينب في طفولتها مواقف تريح النفس وتطمئن الحس وتبشر بمستقبل لها عظيم، فقد حدث ان كانت جالسة في حجر ابيها يلاطفها قائلا:

قولي : واحد •

فقالت : واحد •

قولي : اثنين •• فسكتت ، فقال علي بن ابي طالب :

ـ تكلمي يا قرة عيني •

فقالت الطاهرة :

يا ابتاه ما اطيق ان اقول اثنين بلسان اجريته بالواحد ـ

وسألت اباها ذات يوم :

اتحبنا يا ابتاه ؟

فأجاب رضي الله عنه :

وكيف لا احبكم وانتم ثمرة فؤادي •

فقـالت :

يا ابتاه ان الحب لله تعالى والشفقة لنا •

وقدر للسيدة زينب ان تفقد جدها صلى الله عليــه وسلم وهي في الخامسة من العمر ، وفقدت امها الزهراء بعد ذلك بشهور قلائل فحزنت وهي الصبية الصغيرة عليهما حزنا شديدا وواجهت حياة البيت ورعتــه وادارت شئونه بعقلية رتيبة واعية وحس صادق وقلب مؤمن ..

وعندما بلغت سن الزواج طلبها شباب هاشم وقريش، واختار لها والدها عبدالله بن جعفر .

وكتب على السيدة زينب الجهاد مع الحسين رضي الله عنه وتتابعت قتلى بني هاشم ، فسقط عبدالله بن عقيل وعون بن عبدالله بن جعفر ومحمد ابن عبدالله بن جعفر وعبد الرحمن بن عقيل بن ابي طالب وجعفر بن عقيل وغيرهــم .

ووجد بالحسين ثلاث وثلاثون طعنة واربع وثلاثون ضربة غير الرمية.

وتحرك موكب الاسرى والسبايا من آل البيت النبوي الشريف، وما كاد الركب يمر على ساحة المعركة حتى صاح النساء وصاحت زينب :

يا محمداه صلى عليك ملائكة السماء ، هذا الحسين بالعراء مرجل بالدماء مقطع الاعضاء ، يا محمداه هذه بناتك سبايا وذريتك مقتلة تسفى عليها الصبا .

ودخل الموكب الحزين الكوفة وتجمع اهلها يبكون فقالت لهم زينب:

يا اهل الكوفة !

أتبكون ؟! فلا سكنت العبرة ، ولا هدأت الرنة .

انما مثلكم مثل التي نقضت غزلها من بعــد قوة انكاثا ، تتخــذون ايمانكم دخلا بينكم ألا ساء ما تزرون ؟

اي والله ، فابكوا كثيرا ، واضحكوا قليــلا ، فقد ذهبتم بعارهـا وشنارها ، فلن تطهروها بغسل ابدا .

وكيف ترحضون او تطهرون قتل سبط خاتم النبوة ومعدن الرسالة ومدار حجتكم ، ومنار محجتكم ، وهو سيد شباب اهل الجنة ؟

لقد اتيتم بها خرقاء شوهاء .

اتعجبون لو امطرت دما ؟

ألا ساء ما سولت لكم انفسكم ، ان سخط الله عليكم ، وفي العذاب انتم خالدون ، اتدرون اي كبد فريتم ، واي دم سفكتم ، واي كريمـة ابرزتم ، لقد جئتم شيئا ادا ، تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال .

فضج الناس بالبكاء والعويل .

ومرت الايام ، ثم امر يزيد النعمان بن بشير ان يجهزها ومن معها بما يصلحهم في رحلتهم الى المدينة المنورة .

وذهبت السيدة زينب الى المدينة ، وكان وجودها فيها كافيا لان تلهب المشاعر وتؤلب الناس على الطغاة ، فاخرجت من المدينة بعد ان اختارت مصر دارا لاقامتها .

وقد شرفت مصر بقدومها رضي الله عنها عند بزوغ هلال شعبان سنة احدى وستين هجرية .

وتقدم لها مسلمة بن مخلد الانصاري والي مصر ، وعزاها في خشوع وخضوع ، وبكى فبكت ، وبكى الحاضرون .

محمود يوسف

ثأر الله

بقلم امير اسكندر

منذ ثلاثة عشر قرنا ، خرج الحسين من أرض الحجاز متوجها صوب العراق ، ملبيا نداء أهلها ، كي يعلي كلمة الله الحقيقية ،كلمةالحق والعدل والحرية . وكان خروجه حينذاك ، نذيرا بانهاية لكل قوى الشر والبغي والظلمة ، فتربصت به ، وتحفزت له كي تخنق شعاع الضوء الوليد ، وتحاصر كلمة الحق في الصحراء تموت من الظمأ قبل ان تبلغ أهلها ..

رحلة عذاب طويلة ومجيدة ، ما كان يقوى عليها سوى اصحاب الرسالات وحدهم .. ناضل فيها الحسين بالكلمة والسيف معا ، رفض السلام الخانع وارتفع فوق السلامة الشخصية الذليلة ، وظل حتى آخر نبضة في جسده قوي الروح ، صامد الارادة ، مرفوع الرأس دائما ، حتى تمكنت منه قوى الظلام والطغيان فقتلته وفصلت رأسه عن جسده ، وحسبت انها بجريمتها قد اطمأنت ، وان الارض من تحت اقدامها قد استقرت . ولكنها ادركت بعد فوات الاوان انها لم تستطع ان تبلغ من امرها شيئا ، فلا السلطان دام ولا دعوة الحق زالت . قتل الحسين، ولكن كلمته غدت رسالة . قطع رأسه ولكنه بات رمزا للشهادة . تضرج دمه ولكنه امسى في عصره ، وفي كل العصور ، نداء يصرخ في المؤمنين

(١) جريدة الجمهورية المصرية ١٨-٢-١٩٧٢

والمناضلين من البسطاء والفقراء ان افتحوا دائما عيونكم ، وحدقوا في كل قوى الشر التي تحيطكم ، واقمعوا كل عوامل الضعف والتردد والخنوع في اعماقكم واثأروا لكلمة الله الحقيقية •• كلمة الحق والعدل والحرية•

أيمكن ان نعثر في تراثنا على قصة أروع من قصة خروج الحسين واستشهاده لنستلهم منها العبرة والمثل والقدرة على الفداء ؟ هل يمكن للفنان الذي يعيش بفكره ووجدانه هذه القصة ان يقاوم في نفسه الرغبة العميقة والمخلصة في تجسيد احداثها بوسيلته الخاصة ايا كانت شعرا او لونا او نغما او حركة ، او هذه كلها معا ؟ وكيف يمكننا ان نظل ليل نهار تتحدث عن التراث العريق الذي نملكه ، دون ان تتقدم خطوة نحو بعث هذا التراث ، واستخلاص اغلى ما فيه ، واعز ما فيه وابقى ما فيه ، ونشره واشاعته بكل الوسائل بين الناس ••

هكذا صنع شاعر كبير هو عبد الرحمن الشرقاوي • وهكذا صنع مخرج مسرحي كبير هو كرم مطاوع ؛ لقد كتب الشرقاوي مأساة الحسين او ملحمته ، في مسرحية شعرية هي بالتأكيد آخر نقطة بلغها في رحلته الفكرية والفنية ، وهي ايضا آخر نقطة بلغها تطور المسرح الشعري في بلادنا حتى الآن • وتناولها كرم مطاوع من بعده ، فركز فصولها وكثف مشاهدها حتى يمكنه تجسيدها على خشبة المسرح ، لانها في اصلها تزيد عن اربعمائة صفحة •• واستغرق الاعداد والاخراج شهورا عدة • كانت الانباء تنشر في الصحف خلالها ، عن قرب تقديمها للجمهور ، على خشبة المسرح القومي •

وانا لا اكتب في هذه السطور نقدا للنص المسرحي المنشور في كتاب او للعرض المسرحي الذي اتيح لي ان أشهد « بروفته » النهائية ولكنني — للاسف — اريد ان اشير الى رحلة هذه المسرحية الطويلة خلف كواليس

المسرح ، وهي رحلة حافلة باشد الوان العذاب للفكر والضمير ، حتى يتاح لها ان تخرج للناس • ويبدو ان مأساة الحسين التي وقعت في العراق منذ اكثر من ثلاثة عشر قرنا تتكرر هنا مرة اخرى رغم اختلاف الظروف وبعد القرون • فمسرحية الحسين تتعرض الآن مثلما تعرض الحسين نفسه في الماضي للتنكر والانكار ! وهي توشك ان تلقى مصيره الدامي ، مختنقة وسط حصاد قوى غريبة تسلك سلوكاً غير مبرر وغير مفهوم ••

❋

وحتى يكون القارىء على بينة من القصة كلها ، اضع امامه هذه الوقائع التي ترسم صورة تسجيلية لكل ما حدث حتى الآن ••

● في ٨ يوليو عام ١٩٧٠ طلب مؤلف المسرحية عبد الرحمن الشرقاوي من الجهات المعنية في الازهر الشريف فحص المسرحية وابداء الرأي فيها ، حتى يتسنى البدء في اخراجها للمسرح القومي ••

رأي الازهر تقليد متبع في الاعمال التي تتناول موضوعات أو شخصيات لها مسحة دينية •

● في ٤ اغسطس عام ١٩٧٠ جاءت موافقة الازهر الشريف على نص المسرحية مع بعض التحفظات التي تتحدد في ان يؤدي الممثل الذي يقوم بدور الحسين دوره متخذا شخصية الراوية عن الحسين لا شخصية الحسين نفسه ، اي ان يبدأ كلماته قائلا « قال الحسين ••» وان تؤدي الممثلة التي تقوم بدور السيدة زينب دورها متخذة هي ايضا شخصية الراوية عن السيدة زينب ، لا شخصية السيدة زينب نفسها ، اي ان تبدأ كلماتها قائلة « قالت زينب ••» وهكذا على طول الرواية ، وذلك كله حتى يمكن تخطي عقبة التقليد السائر بعدم ظهور الشخصيات الدينية

على المسرح او على شاشة السينما والتليفزيون • وبالفعل وافق المؤلف والمخرج على هذه التحفظات واقتضى ذلك خروج « عبدالله غيث وامينة رزق » في بداية العرض الى مقدمة الخشبة ليقولا لجمهور المشاهدين انهما لا « يمثلان » الشخصيتين الكريمتين : الحسين والسيدة زينب وانما يرويان عنهما فقط •

● في ١٢ نوفمبر عام ١٩٧١ وافقت الرقابة على المصنفات الفنية • على النص المسرحي المقدم لها بناء على موافقة الجهات المعنية في الازهر الشريف على عرض المسرحية في اغسطس عام ١٩٧٠ ؛ واصبح الامر واضحا بعد هذا كله ، ان الضوء الاخضر مفتوح امام عرض المسرحية من كل الجهات التي يعنيها الامر ، وخاصة جهات الازهر ، بل ان الدكتور احمد ابراهيم مهنا مدير ادارة البحوث والنشر بمجمع البحوث الاسلامية ارسل الى المؤلف خطابا في ٢١ اكتوبر عام ١٩٧١ يقول له فيه « ارجو ان تلتزموا بما اتفق عليه بشأن مسرحيتكم — يقصد عدم ظهور الحسين وزينب الا كراويتين — وفقكم الله •»

● بعد ذلك ، عقد اجتماع ضم ثمانية اشخاص هم : الدكتور مهنا ، والشيخ عبد المهيمن ، والاساتذة عبد الحميد جودة السحار رئيس هيئة المسرح والسينما ، وسيد بدير مدير عام الهيئة ، وحمدي غيث مستشار قطاع المسرح ، وكرم مطاوع مخرج المسرحية ، وعبد الرحمن الشرقاوي مؤلفها ، وسعد اردش الذي كان يشرف وقتها على المسرح القومي •واتفق في هذا الاجتماع على الالتزام بالتحفظات التي ابداها الازهر ، كما اتفق على ضم جزئي المسرحية « الحسين ثائرا والحسين شهيدا » وتقديمهما معا بعد التركيز والتكثيف في عرض واحد •

● وبدأت بعدها بروفات المسرحية واخذت الصحف تنشر انباء تتابع

العمل في نموه واكتماله • ثم ظهرت في الصحف والمجلات ، وعلى جوانب الطرقات ، الاعلانات التي تقول ان « ثأر الله » سوف تعرض على خشبة المسرح القومي هذا الاسبوع •

ولكن كانت هناك مفاجأة تنتظر الجميع • قيل : نحن لم نبد رأيا بعد في المسرحية !•• اية مسرحية ؟•• قيل ان ضم جزئي المسرحيةوتركيزها في عرض واحد يحتاج الى اعادة نظر ؛ ما الذي يمكن ان يتغيّر فيالمسرحية لو عرضت في ساعة او في سبع ساعات من وجهة نظر بعض الجهات في الازهر الشريف ••؟ ان تحفظاتها ملتزم بها سواء استغرق العرض ساعة او عشر ساعات • ان مسألة الاقتصاد في الوقت والتركيز في الفصول والتكييف في المشاهد ، لاتهم ـ بعد ذلك ـ سوى العاملين في المسرحية وجمهورها ونقادها • اليس كذلك •• ايمكن ان تكون هذه قضية خلافية بحق ؟•• ومع ذلك فلقد ارسل لهم النص المعد للعرض في ٩ ديسمبر عام ١٩٧١ اي منذ اكثر من شهرين ، وحتى الآن لم يأت الرد ! رغم ان النص الاصلي للمسرحية الذي ارسل في عام ١٩٧١ لم يستغرق الا اقل من شهر واحد !•

ماذا حدث اذن ؟•• ماذا يجري خلف الكواليس ؟•• واي جديد طرأ اليوم حتى يحتاج الامر لاعادة نظر واعادة تقييم ، ومراجعة للموافقات السابقة ؟ وما الموقف الآن ، بعد ان ظهرت الاعلانات في الصحف والمجلات والطرقات ، واكتمل جهد فكري وفني كبير ، وانفق مال حلال من خزينة الدولة •

لست اريد اليوم ان اتساءل عن الاساس الذي يستند اليه اولئك الذين يطالبون اليوم باعادة النظر ، اريد ان اسأل فحسب عن معنىالحرمان من عمل كبير هو بالتأكيد من افضل الاعمال التي اتيح لمسرحنا ان يقدمها،

ومن اكثرها قيمة ، ومن اشدها استجابة للضرورات الفكرية والوطنية والروحية التي نواجهها الآن ؛ من الذي يكسب من هذا الحرمان بحق ؟ ومن الذي يخسر في النهاية ؟ وباسم اية قيمة فكرية او دينية تحول جهة ما بين الجمهور وبين هذا العمل الذي قال عنه بعض رجال الازهر الشريف انفسهم مثل الاستاذ عبد الكريم الخطيب ، والشيخ عبد الرحيم فودة : انه خدمة كبيرة للقيم الاسلامية ، ويجب ان يعرض ؟

*

ان حرية الفكر التي نص عليها الدستور ، ليست مجرد عبارة مجردة، ولكنها ينبغي ان تكون فعلا وممارسة . وعلينا جميعا ان نحرص عليها ، وان نناضل من اجلها ، فهي في النهاية حجر الزاوية في اي بناء اجتماعي وسياسي وثقافي متحضر .

ونحن .. نناشدكم أيها السادة ان ترفعوا ايديكم عن هذا العمل الذي يدافع عن اغلى واعز وابقى ما في تراثنا الماضي وحياتنا الراهنة .. ان الحسين العظيم لم يكن مجرد شخصية دينية فقط ؛ ولكنه كان ايضا رمزا انسانيا نبيلا ينحني له المسلمون وغير المسلمين ، ويجسد لهم كل معاني التضحية الشريفة في سبيل اسمى ما يدافع عنه الانسان من قيم.

وهل هناك اسمى من قيم الحق والعدل والحرية ؟.

اليست هذه بحق ، كلمة الله الحقيقية ؟..

يسأل ابنته في العيد
من أين لك هذا

تحدث التاريخ عن بطولات علي بن ابي طالب وشجاعته وفدائيته وتضحياته ، كما تحدث عن زهده وعلمه وبلاغته ، وتلك صفحة مشرقة من حياته يرويها التاريخ عنه ونستشف منها عدله ويقظته وشدته في الحفاظ على اموال الدولة ، وتطبيق قانون « من اين لك هذا » .

فقد حدث علي بن ابي رافع قائلا : كنت على بيت المال ايام ولاية علي بن ابي طالب رضي الله عنه ، وكان في بيت المال عقد ، فارسلت الي بنت علي بن ابي طالب تقول : بلغني ان في بيت المال عقد لؤلؤ ، واحب ان استعيره لاتجمل به في يوم عيد الاضحى ، فارسلت اليها قائلا : العقد عارية مضمونة مردودة بعد ثلاثة ايام ، فقبلت وردت تقول : نعم ، العقد عارية مضمونة مردودة بعد ثلاثة ايام ، فدفعته اليها .

فلما رآه امير المؤمنين في جيدها قال لها : من اين جاء اليك هذا العقد ؟ فقالت : استعرته من ابن ابي رافع لأتزين به يوم العيد ثم ارده .

فبعث امير المؤمنين الى ابن ابي رافع وابتدره بقوله : يا ابن ابي رافع. أتخون المسلمين ؟

---

(١) جريدة الاخبار المصرية ٢-١-١٩٦٨

قال : معاذ الله يا امير المؤمنين ان اخون المسلمين ٠

فقال : قد اعرت العقد الذي في بيت المال بغير اذني ورضاي ٠

قال : يا امير المؤمنين انها ابنتك ٠

فقال علي رضي الله عنه : رده من يومك ، واياك ان تعود الى مثل هذا ، فتلك عقوبتي ، وويل لابنتي ٠

علي عمران

أهل البيت

بقلم محسن محمد

تلاشى الزمن .. اختفت القرون التي تفصل بيني وبينهم واحسست كأني اقف امامهم في بيت النبوة .

هؤلاء هم « أهل البيت » فاطمة الزهراء ـ ابنة النبي عليه الصلاة والسلام ، وزوجها علي ـ ابن عم الرسول ـ واولادهما الحسن والحسين .. واحفادهما .

ولقد زرت مكة والمدينة ، ووقفت بكربلاء . وعبرت الطريق الى النجف والكوفة .. وتمثلت لي في كل لحظة مواقفهم .. بطولاتهم .. استشهادهم

ولقد سرح بي الفكر فيما رأيت من بقايا آثارهم وأنا اقرأ آخر واحدث ما كتب عنهم .. لقد جمعهم المؤلف في كتاب واحد .. وروى قصص حياتهم .. وآراءهم .. وحكاياتهم .. ومواقفهم البطولية والانسانية معا ووصاياهم لاهلهم وللناس ، ولا يوجد سطر في هذا الكتاب الجديد ـ اكثر من ٦٠٠ صفحة ، الا وقد عززه الكاتب الباحث المحقق بدليل تاريخي يؤيد وجهة نظره وبمرجع عربي أو اجنبي .. وبوقائع ثابتة ومحددة .. وينتهي الكاتب الى النتيجة التي ينتهي اليها .. وتحس في نهاية المطاف

---

(١) جريدة الاخبار المصرية ٢١ـ٥ـ١٩٧٠

بأنه لا توجد نهاية اخرى •• او نتيجة اخرى غير تلك التي وصل اليها الكاتب توفيق ابو علم وكيل وزارة العدل ورئيس مجلس ادارة مسجد السيدة نفيسة •• وهي واحدة من أهل البيت •

فالكتاب خلاصة حب طويل •• وشفافية استغرقت العمر كله •• وكل صفحة من الكتاب تجعلك تشعر بأن الكاتب يريد أن ينقل اليك الحب الكبير الذي عاشه ، ووهبه لاهل البيت •

اصغر البنات

هذه هي السيدة فاطمة الزهراء أصغر بنات الرسول واحبهن اليه • أمها السيدة خديجة التي جاءها النبي من غار حراء بعد نزول الوحي خائفا مترددا غريب النظرات •• فاذا بها ترد اليه السكينة والامن وتسبغ عليه ود الحبيبة واخلاص الزوجة وحنان الامهات •

تعلمت من أمها اعظم الدروس فكانت ــ فاطمة ــ تضمد جراح أبيها ــ النبي ــ في غزوة أحد •• وتقوم وحدها بعمل البيت لا يعينها أحد ، عاشت على الكفاف لا تكذب ولا تشكو ، وكانت تردد دائما قول أبيها: « طوبى لمن هدي للاسلام وكان عيشه كفافا قنع به » • تركت الاعتراض والسخط • وأعرضت عن طيبات الدنيا ، واستوى عندها الفقر والغنى ، والراحة والعناء ، والصحة والمرض ، والفناء والبقاء ، والموت والحياة ••

صنع لها النبي زيا جديدا لليلة عرسها وزفافها •• وكان لها زي قديم ، فاذا بسائلة في الباب تطلب زيا قديما فقدمت لها القديم ، ثم تذكرت قول الله تعالى « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » فدفعت اليها بالجديد

روت عن النبي كثيراً من الاحاديث ، وسمعته وهو يقول « ان في الجمعة لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله عز وجل فيها خيرا الا اعطاه » •

ولكن فيها ملامح النساء جميعا ..

بلغ العتاب يوما بين فاطمة وزوجها علي ما يبلغه من خصومة بين الزوجين،عندما علمت أن عليا يزمع الزواج على مألوف عادةقومهفي الجمع بين زوجتين واكثر .. ويفعل ما أباح له الاسلام من تعدد الزوجات .. قصدت اباها النبي تروي القصة قائلة : يزعمون انك لا تغضب لبناتك.

فيرد النبي قائلا على الملأ .. ومن فوق المنبر :

ـ فاطمة بضعة منى يريبني مارابها ويؤذيني ما آذاها . واني اتخوف ان تفتن في دينها .

ويعدل علي عن هذا الزواج الجديد . وتموت فاطمة في سن الثامنة والعشرين .. وقبل أن تموت توصي زوجها بالزواج من بنت اختها ،وان تدفن ليلا .

ولما علم المسلمون بوفاتها وجدوا أربعين قبرا بناها علي حتى لا يعرف قبرها احد وهي التي لم يترك النبي غيرها من الاولاد .

ولقد تركت وصايا كثيرة .. تركتها لابنها الحسن دعاء يردده «الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره . ولا يخيب من دعاه . ولا يقطع رجاء من رجاه » .

الامام علي

وهذا علي بن ابي طالب قال عنه النبي « لقد كفاني امري وهو ابن ١٢ سنة . وضرب بين يدي بالسيف وهو ابن ١٦ سنة . وقتل الابطال وهو ابن ١٩ سنة . وفرج همومي وهو ابن ٢٠ سنة ورفع باب خيبر وهو ابن نيف وعشرين سنة ، وكان لا يرفعه ٥٠ رجلا » .

اختلف علي عن الخلفاء بلقب الامام • لم يبدأ احدا يوماً بقتال•
ودخل عليه احدهم يوما فوجد بين يديه لبنا حامضا وكسرة يابسة ، فقال الرجل :

ــ لقد آذتني حموضة اللبن يا امير المؤمنين • اتأكل هذا •

فقال علي :

ــ كان رسول الله يأكل أيبس من هذا •• وأخشن من هذا ••

ومنذ اليوم الاول لخلافة علي هزل الولاة الذين استباحوا الغنائم المحظورة •• وتمرغوا بالدنيا •• وطمعوا واطمعوا رعاياهم في بيت مال المسلمين •• وجنب الصحابة الطامحين الى الامارة فتنة الولايات خوفا عليهم من غوايتها •

ويترك لولده الحسن وصيته :

ــ اوصيك بتقوى الله واقامة الصلاة وايتاء الزكاة ، وغفر الذنب ، والحلم عن الغيظ ، وصلة الرحم ، والحلم عن الجاهل ، والتفقه في الدين ، والتعاهد للقرآن ، وحسن الجوار والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واجتناب الفواحش •

ويقول :

ــ ابصروا ضاربي ــ يعني قاتله ــ أطعموه من طعامي واسقوه من شرابي •

الحسن

كان يحضر مجلس جده النبي فيحفظ الوحي ويستمع الى دعائـــه « اللهم أهدني فيمن هديت • وعافني فيمن عافيت • وتولني فيمن توليت وبارك لي فيما اعطيت • وقني شر ما قضيت فانك تقضي ولا يقضى عليك • وانه لا يذل من واليت • تباركت ربّنا وتعاليت » •

ويستمع الى نصيحة النبي « دع ما يريبك الى مالا يريبك فان الشر ريبة والخير طمأنينة » ••

كان الحسن جريئا ••

وكان لا يرى للمال اهمية سوى ما يرد به جوع جائع او يكســو به عاريا او يغيث به ملهوفا او يفي به دين غارم • ورفض جميـــع مباهج الحياة وزهد في نعيمها • وردد نصح الناس فقال : من لم يؤمن بقضـــاء الله وقدره •• خيره وشره •• فقد كفر ••

ونصح الحاكم فقال : « ان الحاكم المثالي هو من اذا خاف الله فـــي السر والعلانية •• وعدل عند الغضب والرضا • وقصد في الفقر والغنى • ولم يأخذ الاموال غصبا • ولم يأكلها اسرافا وتبذيرا » •

وآمن الحسن بالمساواة • قالت له قرشية :

ــ أتساوي في العطاء بيني وبين جارية •

فأخذ قبضة من تراب وجعل يقلبها •

ــ لم يكن بعض هذا التراب أفضل من بعض •

وتنازل عن الامارة لمعاوية ، وعقد معه صلحا •• وكان هذا الصلح ، ثم

استشهاد الحسين بعد ذلك من دعائم الاسلام ، ولولاهما لما بقي للاسلام اسم •

الحسين

وهذا هو الحسين وتلك كلماته الباقية على مر الزمن :

● لا تكلف مالا تطيق • ولا تتعرض لما لا تدرك • ولا تعد بما لا تقدر عليه • ولا تنفق الا بقدر ما تستفيد • ولا تطلب من الجزاء الا بقدر ما صنعت ، ولا تفرح الا بما نلت من طاعة الله تعالى • ولا تتناول الا ما رأيت نفسك اهلا له •

أقدم على الموت مقدما نفسه وأولاده واطفاله واهل بيته للقتل ،وكان يردد : « لست أخاف الموت • موت في عز خير من حياة في ذل » •

وارتكب احد عماله جناية توجب التأديب ، فأمر بتأديبه، فقال العامل:

ــ قال الله تعالى « والكاظمين الغيظ » •

قال الحسين : خلوا عنه كظمت غيظي •

قال العامل (والعافين عن الناس) •

قال الحسين : (عفوت عنك) •

قال : (والله يحب المحسنين) فأعتقه واعطاه •

وقفته في كربلاء وحربه معروفة عندما قاتل جيوش الامويين •• قتل امامه ولده واهل بيته واصحابه ، ولكنه استمر يقاتل ، ومثله في هذه المواقف يسلم ويستسلم ، ولكنه وقف أمام ثلاثين الف كالجراد المنتشر ، ينهزمون بسيفه وهو يقول : لا حول ولا قوة الا بالله •

وفي كربلاء •• في يوم عاشوراء •• استشهد كل كبير وصغير من أبناء علي •• واستشهد الحسين ، وحمل قاتله الرأس الى زوجته ـ زوجة القاتل ، قائلا :

ـ جئتك بغنى الدهر •• هذا رأس الحسين معك في الدار •

فقالت الزوجة :

ـ ويحك • جاء الناس بالذهب والفضة •• وجئت برأس ابن بنت رسول الله • والله لا يجمع رأسي ورأسك بيت •

ولقد كانت حركة الحسين عملية استشهاد •• كلف الايام ضدطباعها•

عز عليه ـ على الحسين ـ النصر العاجل •• وابتغى النصر الآجل بعد موته •• ليحيي بذلك قضية مخذولة ليس لها بغير ذلك حياة•• وقد رفض الحسين الا ان يصحب اهله ليشهدوا الناس على ما يقترفه اعداؤه بما لا يبرره دين ولا وازع من انسانية ، فلا تضيع قضية مع دمه المراق في الصحراء •

واذا كان الحسين قد هزم في معركة حربية او خسر قضية سياسية، فلم يعرف التاريخ هزيمة كان لها من الاثر لصالح المهزومين كما كان لدم الحسين ، فقد قامت ـ بعد وفاته ـ الثورات لتدك عرش بني امية •

ام العواجز

وتمضي صفحات الكتاب مع أهل البيت لتنتهي عند السيدة نفيسة التي لقبت بنفيسة الدارين ونفيسة العلم ونفيسة المصريين •• وام العواجز •• ولام العواجز حديث آخر •• يطول •

لحظات في نور أم هاشم

هي ابنة الامام علي كرم الله وجهه ، ابنة السيدة فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم ،وشقيقة السبطين النيرين الحسن والحسين سيدي شباب اهل الجنة ، رضي الله عنهم اجمعين .

كانت رضي الله عنها من خيرة نساء بيت النبوة ، اتخذت طوال حياتها تقوى الله بضاعة لها ، ولسانها لا يفتر عن ذكر الله ، عرفت بكريمة الدارسين ، وحسبت عند اهل العزم بام العزائم ، وعند اهل الجود والكرم بام هاشم ، وهي صاحبة الشورى طوال حياتها .

ولدت رضي الله عنها سنة خمس من الهجرة النبوية ، فسر لمولدها اهل بيت النبوة ، ونشأت نشأة حسنة كاملة فاضلة ، تربت على مائدة الطهر والشرف والاباء وعزة النفس ، محوطة بكتاب الله الكريم وسنة جدها العظيم ، وكانت رضوان الله عليها على جانب عظيم من الحلم والعلم ومكارم الاخلاق ، ذات فصاحة وبلاغة ، تفيض من يدها عيون الجود والكرم ، تزوجت رضي الله عنها بابن عمها الامام عبدالله بن جعفر الطيار ، واعقبت منه محمدا وعليا وعباسا وام كلثوم ، وعرف عنها انها كانت رضوان الله عليها خير ام صالحة في رعاية زوجها واولادها ، كما عرفت عنها الشجاعة النادرة والجرأة العظيمة التي ظهرت بعد موقعة كربلاء وموقفها من اليزيد .

عن جريدة الجمهورية المصرية .

فلقد خاطرت السيدة زينب بحياتها لما ذهب اخوها الامام الشهيد أبي عبدالله الحسين الى العراق،وصاحبته الى تلك البلاد واشتغلت بتضميد الجرحى والسهر عليهم واعانة اهل من قتل من جيش اخيها ، وجاهدت في سبيل الله حق الجهاد الى ان استشهد الحسين وكثير من اهل بيته ، فحزنت ، لكنها صبرت صبر ايوب ، واخذت تخاطب الظالمين والقتلة الكافرين باعنف واغلظ الاقوال قائلة : ماذا تقولون اذا قال النبي لكم وطالبكم بدم اخي الحسين ؟ وماذا يكون الجواب اذا سألكم جدي رسول الله عن رحمة وضياع حق آل بيت النبوة على يد اليزيد قبحه الله .

وكانت رضي الله عنها عنيفة في قولها لابن زياد مما جعل بعض الكافرين من اصحاب ابن زياد والموالين لليزيد ان يهجم على خبائها ويقتل الامام علي زين العابدين ابن اخيها الحسين والذي ابقى به الله نسل النبوة الى يومنا هذا وحتى قيام الساعة ، فصرخت في وجهه صرخة شديدة قائلة : والله لا يقتل حتى اقتل قبله .. فالقى الله في قلب ذلك الغادر الرعب،وسقط السيف من يده ولم يتعرض لهما بسوء ورجع خاسرا .

بعد ذلك رحلت ومن معها من السادة الاطهار الى الشام ، ولما مثلت في مجلس اليزيد وظهر عليه الحقد وما ابداه من الشماتة وما تفوه به من الفاظ ، قالت له السيدة زينب : صدق الله يا يزيد « ثم كان عاقبة الذين اساءوا السوء ان كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون ... »اظننت اننا غلبنا وسقنا كالاسارى هوانا من الله لنا ، وانت جذل فرح حين رأيت الدنيا مستوثقة لك ، فالله اكبر واملك « ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خيرا لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين » .

ثم رحلت بعد ذلك الى المدينة ، ثم الى القاهرة ، الى ان توفيت سنة ٦٢ ودفنت في مسجدها المعروف .

حسين البتنوني

كتاب للإمام جعفر الصادق في ألف صفحة

ان جابر بن حيان الذي اعترفت اوربا ان الكيمياء هي صنعة جابر ، حتى اطلقوا عليها اسم « كيمياء جابر » هذا العبقري الذي اسس علم - الكيمياء ونظرياته الحديثة ينسب كل مواهبه العلمية الى التعاليم المحمدية، وله نظرية تربط بين الدين والعلم ، ويقول المستشرق الاوربي « كراوس» في دائرة المعارف عن نظرية جابر بن حيان التي يربط بها بين الدين والعلم وحتمية ذلك فيقول : « يربط جابر بين نظريات العلم الطبيعي وعلم الاديان ويسمى استاذه جعفر الصادق معدن الحكمة » ..

وكان الناس في بغداد ايام العباسيين يهرعون الى جعفر الصادق ليتفقهوا في الدين وفي علوم الاسلام .. وكان جابر بن حيان ينسب كل معارفه في علم الكيمياء الى الالهام المحمدي ، فيقول عن ذلك وهو يتحدث عن كتبه العلمية :

« تأخذ من كتبي علم النبي وعلي .. وسيدي « جعفر الصادق » وما بينهم من اولاد » ..

وجعفر الصادق حفيد رسول الله كان من علماء الكيمياء ، وله كتاب في هذا العلم يقع في الف صفحة كما تقول دائرة المعارف .

اي ان جابر بن حيان عبقري الكيمياء في التاريخ البشري كله والذي

اسقط نظرية « ارسطو » في تكوين « الفلزات » ، ينسب هذا العلم الخطير الى الالهام المحمدي ..

وهو يرى ان مزج علوم الدين بعلوم الدنيا يجعل الانسان متوحدا في مسيرته الكونية .. ولا مفر من ذلك ، لان العلم في يد الجهال، كما يقول جابر بن حيان ، فيه خراب العالم .. والجهال هم الكفرة !!

وروح الحضارة الاسلامية تتبلور في شعار الامل امام الباحث في العلوم .

وجابر بن حيان ينصح تلاميذه وهم من العلماء ايضا بأن الامل هو طريق العلم .. وكان يردد هذه الاية :

« ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ».

وكان جابر بن حيان يعتقد أن الوحي مستمر بعد رسول الله ، لكن في الخفاء ، ويأتي هذا الوحي بالعلوم الى الأئمة ، ومنهم الى الرعية .

علي الدالي

عن جريدة الجمهورية المصرية ٢٠-٤-١٩٧٣ .

معنى الاحتفال بمولد السيدة

المثال لعظمة الفداء وسيادة الحب
والداعية الى .. وحدة الصفوف

تحتفل مصر الآن بمولد السيدة الطاهرة زينب ابنة الامام علي رضي الله عنهما ، وحفيدة النبي صلى الله عليه وسلم من ابنته فاطمة الزهراء .. ان مئات الألوف من الناس يفدون الى الحي الزينبي للمشاركة في هذا الاحتفال ، يقودهم اليه حب النبي وعترته .. فالسيدة زينب بضعة منه وعطر من سيرته وقبس من نوره .. وهم يعلمون جميعا أن الأحجار والاعتاب والاضرحة لا تنفع أحدا ولا تعطي شيئا .. ولكنهم يعودون جميعا ومعهم فضل من دعاء صالح وقبضة من أثر دعوة النبي الباقية الخالدة .. الى الحب وليس الى البغض .. والى السلام وليس الى الخصام .. والى الوحدة وليس الى الفرقة .. دعوته الى طهارة القلب .. وأمانة الايمان .. وسماحة الاسلام ..

كانت أسرة الرسول في مكة ـ قبل بعثته صلى الله عليه وسلم ـ جديرة بان تطوقها السعادة ، وان ترفرف عليها السكينة ، وان تتجافاها الهموم ، وان يتطامن لها الزمن ، فقد كان الزوجان صالحين ، قد غنيا بتجارة رابحة ، وهما يتفيآن ظلال بيت الله ، ويحلان من قريش سدنة البيت في أرفع محل .. ومكة حافلة بكل عجيب من السلع والرفاهات ، والاخبار ..

عن جريدة الاخبار المصرية ٢٥ـ٧ـ١٩٧٢

ولكن الله الذي رزق محمدا وخديجة طفليهما القاسم وعبدالله يستردهما اليه في سني الطفولة ، بعد ان ملآ البيت سرورا وحبورا ، في مجتمع كان الفتيان فيه يشغلون مكان الطلائع ، فماذا كان يعني ذلك بالنسبة للزوجين السعيدين المتوافقين ؟.. ماذا كان يعني ان يذهب الابناء دائما ـ حتى فيما بعد عندما جاء مع الشيبة ابراهيم ـ وان يبقى البنات الوديعات البارات ؟

اليس هذا السؤال مما يرد بالبال .. ترى لو انالله كان قد اطال في اعمار القاسم وابراهيم حتى غدوا « رجالا » يشاركون بعد ابيهم في السعي ، وفي الرأي ، وفي الجهاد عن الدين والجماعة ، اما كان تاريخ المسلمين في اهم منعطفاته قد تغير الى قرون طويلة ؟

سؤال هل سأله احد ؟.. وهل اجاب عنه احد ؟.. وهل وصل الى حكمته احد ؟ واذا كنا نسأله لانفسنا اليوم ـ تفكيرا بصوت مسموع ـ ونحن نكتب بمناسبة مولد السيدة الطاهرة المطهرة « زينب » احدى شهيرات اسباط الرسول .. افلا يقودنا هذا الى تلمس الحكمة ـ ان استطعنا ـ في أن تكون سبطية اسباط الرسول ـ على غير المألوف ـ من طريق بناته ، وليس من طريق ابنائه ؟.. الم يكن هذا بنفسه مطعنا لبعض المشركين عليه ، ولبعض المستشرقين والحاقدين ايضا ؟.. فلماذا لا يكون ذلك لحكمة وكرامة ورحمة ارادها الله لنبيه وللمؤمنين ..وعلينا ان نعرفها جميعا ؟

حقا ، في كتب السيرة ان النبي صلى الله عليهوسلم اشتاق للولد،كما انه ادرك لذعة الشكل التي تعانيها زوجته الاثيرة اليه رضي اللهعنها .وكان زيد بن حارثة قد عرض للبيع رقيقا في مكة ثمرة من ثمار حروب العرب المستمرة ، فطلب الى السيدة خديجة ان تبتاعه ، فلما فعلت اعتقه وتبناه،

واصبح يعرف بعد ذلك بأنه زيد بن محمد .. لقد اصبح زيد اخا بالتبني لكل من زينب ورقية وام كلثوم وفاطمة رضي الله عنهن .

وكانت البعثة .. وقام الرسول بالدعوة .. قام يدعو قومه .. ثم يدعو قومه وكل العرب .. ثم يدعو قومه وكل الناس .. وظهر من المشركين من يعيّره بانه «الابتر» الذي سينقطع ذكره بين الناس لانه لا ولد له.. وهنا تظهر اول الاضواء على الحكمة التي نبحث عنها .. تظهر في قول الله ردا على المشرك وتأمينا للنبي : « انا اعطيناك الكوثر ، فصل لربك وانحر ، ان شانئك هو الابتر » .. ان الانقطاع اذن هو الكفر ولقد وهب الله نبيه « الكوثر » .. اي وهبه كثرة الذاكرين لسيرته ، والسائرين بذكره والمصلين عليه في صلاة كل يوم من المؤمنين .. ابد الابدين ودهر الداهرين .

وهنا يظهر أيضا معنى تبني الرسول الكريم لزيد بعد عتقه .. يظهر معنى البديل الذي اتخذه عن ولديه من ظهره .. لقد جاء محمد صلى الله عليه وسلم ليعتق ويحرر جميع المؤمنين بالايمان — كما عتق زيدا .. ثم يكون بحقه عليهم ابا كريما ، ورسولا رحيما ، واسرة حسنة .. ما قامت الدعوة الى الله والاسلام على ارض البشر .

وهنا تظهر حكمة الله للمرة الثالثة عندما ولد ابراهيم بالمدينة، وعندما مات واشتد حزن الرسول عليه ..

وكان اسباطه صلى الله عليه وسلم من احب بناته اليه واشدهم حزنا عليه فاطمة الزهراء ، هم ابناؤها من الامام علي رضي الله عنه : الحسن والحسين ومحسن ، وزينب وام كلثوم .

قال ابن اسحق في السيرة : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسمع شيئا يكرهه ، من رد عليه ، وتكذيب له ، فيحزنه ذلك، الا فرج الله

عنه بخديجة رضي الله عنها ؛ اذا رجع اليها تثبته وتخفف عنه ، وتصدقه وتهون عليه امر الناس ، حتى ماتت رضي الله عنها » .

على هذا السمت من البر ، وتفريج الاحزان ، والتثبيت والتخفيف، في الدعوة الى الله ، والجهاد في سبيل الله كانت بنات الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وبنات السيدة خديجة رضي الله عنها .. وكان اسباطه واسباطها منهن .. وكانت السيدة زينب رضي الله عنها ..

وكان حظ السيدة زينب ان تكون المكرسة لمواساة اخيها الامام الحسين ، وان تمضي معه على طريق مأساته الى اخرها ، تثبته وتخفف عنه، وتبدي له الرأي،وتتبعه الى ما يريد ، فلما كان استشهاده وقفت كالقصاص العادل من قاتليه ، وممن غرروا به .. ثم تبعت رأسه الطاهر الى دمشق تدفع عن ذكره وتبين عن حقه ، وتطلب حكم الله بينه وبين من اصابوه ، وبغوا عليه .

ولما أوت الى المدينة لم تنثن عن ذكره حتى ضجروا بها ، وضجرت بهم .. وطلبوا اليها ان تختار غير المدينة منزلا .. وجاءها نساء من بني هاشم وعلى رأسهن ابنة عمها « زينب بنت عقيل » التي قالت لها مشفقة عليها : « يا ابنة عمي قد صدقنا الله وعده ، واورثنا الارض تتبوأ منها حيث نشاء ، وسيجزي الله الشاكرين .. ارحلي الى بلد أمن » .

خلافة النبي لمن بات على فراشه ليلة الهجرة

التزمت في « التفسير الكاشف» بما يدل عليه ظاهر الآية من معنى مع التركيز والوضوح والايجاز وازاحة كل شبهة يمكن ان تمر بالخاطر حول الآية ودلالتها .. هذا في غير الآيات التي نزلت في فضل اهل البيت عليهم السلام . حيث تركت الحديث عنها لعلماء السنة والمفسرين منهم، اتقاء للتهمة وسوء الظن ، فوجدت في تفاسيرهم وما نقلوه من احاديث الرسول (ص) في اهل بيته ــ ما عند الشيعة وزيادة .. حتى اسلام ابي طالب الذي قال عنه السيد قطب في « ظلاله » ما قال على عكس ما صرح به صاحب روح البيان عند تفسير الآية ٥٤ من سورة يوسف وقال : « لقد آسى ابو طالب رسول الله (ص) وذب عنه مادام حيا ، فالأصح انه من الذين هداهم الله للايمان كما سبق في المجلد الأول » .

وحذف المتعصبون الذين في قلوبهم مرض الكثير مما يتصل بفضائل اهل البيت التي كانت ثابتة في الطبعة الأولى من كتب التفسير والحديث عند السنة ، بخاصة الاحاديث الصريحة الواضحة التي لا تقبل التأويل بحال كحديث « انت خليفتي من بعدي ، فاسمعوا له ــ اي لعلي ــ واطيعوا » .. ولكن السيد الفاضل مرتضى الحسيني الفيروز آبادي تتبع الطبعات الأولى لكتب التفسير والاحاديث عند السنة ، ونقل عنها كل ما يتصل باهل

البيت . وذكر رقم الجزء والصفحة وتاريخ الطبع في كتابه القيم والوحيد في بابه الذي أسماه « فضائل الخمسة من الصحاح الستة » في ثلاثة اجزاء تبلغ حوالي ١٣٠٠ صفحة .

و « في ظلال نهج البلاغة » سلكت نفس الطريق التي التزمتها بالتفسير الكاشف من الأخذ بظاهر اللفظ مع التركيز والوضوح والايجاز، وفيما يعود الى فضائل اهل البيت نقلت عن كبار علماء السنة وادبائهم، كالبخاري ومسلم وابن حنبل من القدامى . وطه حسين وعبد الرحمن الشرقاوي واحمد عباس صالح وعبد الكريم من الجدد .. ومرة ثانية اشير الى اني وجدت في هذه الاقوال ما عند الشيعة وزيادة .. حتى القول : ان ما حدث لأهل البيت في كربلاء وغيرها انما هو للثأر من رسول الله (ص) باهل بيته ، اما الزيادة فاقرأها فيما يلي لعبد الكريم الخطيب ، وهو يتحدث ويحلل مبيت الامام في فراش النبي ليلة الهجرة .. وان دل هذا على شيء فانه يدل على ان الشيعة والسنة ينهلون من نبع واحد ، وما فرق بينهم الا خبث السرائر وسوء الضمائر ،كما قال الامام في الخطبة ١١١ .

وقال في الخطبة ١٩٠ : « انا وضعت في الصغر بكلاكل العرب ، وكسرت قرون ربيعة ومضر ، وقد علمتم موضعي من رسول الله (ص) الخ . وكتبت في شرح هذه الجملة فيما كتبت ، ونقلت عن ادباء السنة ما يلي :

رافق علي" النبي (ص) في مراحله كلها ، وسبق الناس الى الايمان بدعوته ؛ والتمسك بعروته ، ودافع عنه وعنها بنفسه لا يرجو إلا رضا الله ومودة الرسول ، بل كان علي يبث الدعوة لمحمد (ص) قبل البعثة . ويحدث الغلمان من أترابه عن خلق محمد وعظمته . قال الاستاذ عبدالرحمن الشرقاوي في كتاب « محمد رسول الحرية » الطبعة الأولى ص ٦٥ : « كان

علي ، وهو في الثامنة يحدث الغلمان في مثل سنه عن ابن عمه ، ويقول : ان محمدا ألغى في بيته كلمة العبيد والجواري ، وأحل مكانهما كلمة فتاي وفتاتي ، وهو يصبر على الخدم ، فما يقول لواحد منهم « أف » مهما يخطىء » .

وكان عتاة قريش يغرون الصبيان برسول الله (ص) فيصحب معه عليا يذبهم عنه . ومن جهاده في المرحلة الأولى مبيته على فراش رسول الله ليلة الهجرة . وهنا أدع الحديث لغيري تجنبا لمواضع التهم .. فقد نشرت جريدة الأخبار المصرية تاريخ ٨ ــ ١٢ ــ ١٩٦٧ كلمة بعنوان « مشاهدات فدائية في تاريخ الاسلام » جاء فيها :

« ان تاريخ الاسلام حافل بضروب باسلة من أمثلة الفدائية النبيلة.. وأظهر من نعرف من فدائيي العصر النبوي علي بن أبي طالب ، ومواقفه الفدائية أكثر من ان تحصر . ولعل أولها في تاريخ الدعوة مبيته ليلة الهجرة على فراش ابن عمه متوقعا ما سيحيق به من الموت المباغت اذ أحاط به الأعداء من كل صوب . فهانت عليه نفسه وراء ما ينشد من تفدية صاحب الدعوة ، ومكث الليل الطويل ينتظر الموت ما بين لحظة وأخرى ، وقد برقت الأسنة ، ولمعت السيوف .. ان مخاطرات علي الفدائية تغلغلت في أعماقه حتى غد تاحدى وسائل النصر في بطولاته ، وحسبك أن تعلم انه في طليعة المتقدمين في ميدان المبارزة الحربية ، وانه بطل الاسلام » .

أما الكاتب الاسلامي المصري الاستاذ عبد الكريم الخطيب فقد استوحى من المبيت معنى دقيقاً ما سبقه اليه عالم وباحث ، قال في كتاب علي ابن ابي طالب ص ١٠٥ وما بعدها طبعة ١٩٦٧ :

« هذا الذي كان من علي في ليلة الهجرة .. لم يكن أمراً عارضاً ، بل هو عن حكمة لها آثارها ومعقباتها ، فلنا أن نسأل : أكان لالباس الرسول

(ص) شخصيته لعلي أكثر من جامعة القرابة القريبة بينهما ؟ • وهل لنا أن نستشف من ذلك ــ أي من ان الرسول ألبس شخصيته لعلي ــ انه اذا غاب شخص الرسول كان علي هو الشخصية المهيأة لأن يخلفه ، ويمثل شخصيته ، ويقوم مقامه ؟•• وأحسب اننا لم نتعسف كثيراً حين نظرنا الى علي ، وهو في برد الرسول ، وفي مثوى منامه الذي اعتاد أن ينام فيه فقلنا : هذا خلف الرسول والقائم مقامه » •

وبحق قال الأستاذ الخطيب : إن شيعة علي لا يقيمون شاهداً من هذه الواقعة يشهد لعلي انه أولى الناس برسول الله على حين نراهم يتعلقون بكل شيء يرفع علياً الى تلك المنزلة أي الخلافة • ولي أن أجيب عن الشيعة بأنهم لا يستدلون بشيء على خلافة إمامهم إلا بأقوال السنّة ، وعلى هذا جرت عادتهم منذ القديم تجنباً لمواطن التهم •• وما رأوا أحداً قبل الأستاذ الخطيب استدل بهذه الواقعة على أولية علي بالخلافة ، ولما أنطقه الله به أخذوه عنه ، كما فعلت أنا • ثم قال الخطيب الكريم :

« إن علياً خدع قريشاً بمبيته على فراش رسول الله ، ومكر بها عن محمد حتى أفلت من بين أيديها ، وسلم من القتل ، وقد صفعها علي بفعلته هذه صفعة مذلة ومهينة ، فأضمرت قريش لعلي السوء ، وأرهقته وتجنت عليه بعد أن دخلت الاسلام •• إن هذا الذي كان من علي ليلة الهجرة في تحديه لقريش ، هذا التحدي السافر ، وفي استخفافه بها ، ان ذلك لا تنساه قريش لعلي أبداً ، ولولا انها وجدت في قتل علي يومئذ إثارة فتنة تمزق وحدتها لشفت ما بصدرها منه ، ولكنها تركته ، وانتظرت الأيام لتسوي حسابها معه •• ولحق النبي بالرفيق الأعلى ، وترك علياً وراءه يصطدم بالأحداث ، ويكابد الشدائد حتى يلحق بالرسول •• ألا يبدو لنا من هذه الموافقات ما نستشف منه ان لعلي شأناً في رسالة الرسول ، ودوراً في دعوة الاسلام ليس لأحد غيره من صحابة الرسول » •

وبعد ، فإن الاستاذ عبد الكريم الخطيب لا يمت الى الشيعة بأم ولا أب ، ولا بتربية وبيئة ، وإنما نطق بوحي من ضميره ودراسته مجرداً عن كل غاية ، فالتقى مع تبيعة علي من حيث لا يريد .. ثم تنبه للعواقب . وخاف من تهمة التشيع ، وثورة المتعصبين من الشيوخ ، فاتقاهم بقوله : « وبعد فهذه خطرات لا نحسبها على تلك القضية ، ولا نأخذ بها فيها » . ولكن أسلوبك في التعبير ــ أيها الأستاذ الكريم ــ ينم عن شعور قلبك وإيمانه ، لا عن خطرات خيالك ووساوسه ، ان هذه الخطرات والوساوس تتجلى في اعتذارك بقولك « لا نأخذ بها فيها » ان هذا الاسلوب ان دل على شيء فإنه يدل على الشك والحيرة والارتباك . وعلى أية حال فأنت معذور لقوله تعالى : « الا ان تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه والى الله المصير ــ ٢٨ آل عمران » .

قدمنا ان الدعوة الاسلامية مرت بثلاث مراحل أساسية : الأولى مجرد الايمان والاعلان مع الثبات والصبر على الأذى . والثانية ردع العدوان. والثالثة الهجوم الرادع ، وأشرنا الى جهاد الامام في المرحلة الأولى . ومن جهاده في المرحلة الثانية بلاؤه يوم بدر ، وبعد أن تحدث عبد الكريم الخطيب عن هذا اليوم في كتاب « علي بن أبي طالب » قال : « فأنت ترى كيف كان ابن أبي طالب سيفاً بتاراً يضرب أئمة الكفر من قريش » .

وقال عن يوم أحد : « وكان لعلي يوم أحد ما كان له يوم بدر من الاطاحة برؤوس أئمة الكفر من قريش .. ومن قتلى علي في هذا اليوم طلحة ابن أبي طلحة صاحب راية المشركين في تلك الوقعة ، فغير منكور إذن تلك اليد الضاربة وهذا السيف لعلي في معركة الاسلام ، وأيضاً غير منكور الترات التي كانت للمشركين عند علي ، والتي لم يخل منها بيت من بيوت قريش » .

وقال عن وقعة الأحزاب : « قال النبي (ص) حين برز علي لابن ودّ يوم الخندق : الآن برز الاسلام للشرك كله .. وقال حذيفة بن اليمان : لو قسمت فضيلة علي بقتل عمرو يوم الخندق بين المسلمين أجمعهم لوسعتهم . وقال ابن عباس في قوله تعالى : « وكفى الله المؤمنين القتال» بعلي . والحق ان مكان علي في معارك الاسلام أكبر من أن يخفى وراء التعصب في مواقف الخصومة والملاحاة ، ولو ان بطولة علي كانت موضع شك لما سار الحديث عنها مسير المثل ، فكان مما قيل : لا فتى إلا علي ، ولا سيف إلا ذو الفقار . إن علياً أكثر المسلمين شدة على مشركي قريش . وإفجاعاً لهم في الأبناء والآباء والأعمام والأخوال ، وهذه الاحن على علي. وتلك الترات في نفوس قريش المشركة ظلت حية بعد أن دخلت في الاسلام.. وبعد موت النبي تناولت قريش بسيوفها شيب بني هاشم وشبابها وصبيانها وشرّدت عقائلها وحرائرها ، وكأنما تثأر بهذا لقتلاها في بدر وأحد ، وحسبنا أن نذكر هنا مصرع الحسين وآل بيته في كربلاء ، وما تلا ذلك من وقائع » .

محمد جواد مغنية

الشعب المصري وآل البيت *

لماذا نحتفل بمولد الحسين . وتزخر القاهرة العامرة بالوافدين الى مسجده لاحياء ذكراه في هذه الايام من كل عام ..؟

ان الاحتفال بمولده ، او بمولد جده عليه السلام او بمولد ولي من أولياء الله الصالحين لم يرد به امر في كتاب او سنة ، ولكن طبيعة هذا الشعب الطيب المؤمن المتدين تهتز اعجابا ببطولة الابطال ، وحبا لاهل

* جريدة الاخبار المصرية ٢٥-٥-١٩٧٣

البيت ، وتعبر عن اعجابها بحبها لهذه الاحتفالات التي تقيمها في كل مناسبة طيبة .

وقد كان الحسين رضي الله عنه مثلا فريدا في شجاعة القلب ، وشرف الكلمة واباء الضمير ، وكانت مكانته في قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانة الابن من قلب ابيه . ثم هو ابن فاطمة بنته ، وعلي ابن عمه ، وهو من الذين ضمهم النبي صلى الله عليه وسلم تحت كسائه وقال : اللهم هؤلاء اهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ..

ولا شك ان مكانة اهل بيته في قلوب المؤمنين بالمثابة التي يشف عنها قول الله : « النبي أولى بالمؤمنين من انفسهم وأزواجه امهاتهم » ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم : والذي نفسي بيده لا يؤمن احدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه وماله وولده والناس اجمعين ..

وقد قال تعالى : « والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بأيمان ألحقنا بهم ذريتهم » . وقد كان الحسين ــ وهو من ذريته شبيها به في ملامحه وصفاته وسماته ، وكان موقفه من الذين احدقوا به واطبقوا عليه ، شبيها بموقف جده عليه السلام وهو يواجه الذين تحزبوا ضده وتألبوا عليه بقوله لعمه : والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على ان اترك هذا الامر حتى يظهره الله او اهلك فيه ما تركته ..

وقد بذل في سبيل كلمة الحق والشرف دمه الزكي ، وبقي اسمه خالدا ماجدا في سجل المجد والخلود .. رضي الله عنه . وأرضاه .

عبد الرحيم فودة

حق الجماعة يغلب حق النفس ! (١)

ذهب النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم الى بيت ابنته فاطمة ليزورها وعند باب البيت وعندما اوشك ان يدخل تراجع وعدل عن زيارتها .
وتضطرب فاطمة وتسرع الى زوجها علي بن ابي طالب كرم الله وجهه تطلب اليه ان يلحق بالرسول ليسأله عن سبب عدوله عن زيارتها .

ويسير علي الى الرسول يسأله فيجيبه عليه السلام : اني رأيت على بابها سترا موشيا !!

ويعود علي الى زوجته ليخبرها الخبر فتقول : ليأمرني فيه بما يشاء وأمر النبي عليه السلام ــ بما معناه ــ ان تعطيه الى اهل يحتاجون اليه .

ويريد النبي زيارتها مرة اخرى ، ولكنه يعود دون ان يدخل بيتها ، وتبعث اليه بمن يسأله عن السبب فيقول عليه السلام : اني وجدت في يديها سوارين من ذهب !!

ولما بلغها ذلك ارسلتهما اليه فباعهما ــ عليه السلام ــ بدرهمين ونصف درهم وتصدق بهذا المبلغ على الفقراء .

ويعلق الكاتب الراحل مصطفى صادق الرافعي على ذلك فيقول :

يا بنت النبي العظيم :

وانت ايضا لا يرضى لك ابوك حلية بدرهمين ونصف درهم وفي المسلمين فقراء لا يملكون مثلها ؟

اي رجل شعبي على الارض كمحمد عليه السلام فيه للامة كلها غريزة الاب ، وفيه ــ على كل احواله ــ اليقين الذي لا يتحول ، وفيه الطبيعة

---

(١) عن جريدة الاخبار المصرية تاريخ ١٦-٢-١٩٦٨

التامة التي يكون بها الحقيقي هو الحقيقي •

يا بنت النبي العظيم :

ان زينة بدرهمين ونصف درهم لا تكون زينة — في رأي الحق — اذا أمكن أن تكون صدقة بدرهمين ونصف درهم !!

ان فيها حينئذ معنى غير معناها :

فيها حق النفس غالبا على حق الجماعة •• وفيها الايمان بالمنفعة حاكما على الايمان بالخير •• وفيها ما ليس بضروري قد جاء على ما هو الضروري •• وفيها خطأ من الكمال ان صح في حساب الحلال والحرام، لم يصح في حساب الثواب والرحمة •

نظرة والنبي :

وفي جريدة الاهرام تاريخ ٢٣–٦–١٩٧٢ كتب وزير الثقافة السابق الاستاذ فتحي رضوان مقالا مطولا عن حي السيدة زينب بنت امير المؤمنين عليه السلام ، جاء فيه •

مسجد السيدة زينب تشد اليه الرحال ، وكأنه الكعبة ، اكثر مما تشد الرحال حتى الى المسجد الحسيني ، فالالوف الذين يقصدون هذا المسجد من فقراء الريف والحضر ، من النساء والرجال ، من المرضى واصحاب الحاجات ، من المغلوبين على امرهم والذين سدت في وجوههم الابواب ، وتحطمت الامال ، كانوا قد اطلقوا على صاحبة الضريح اسماء تدخل الى قلوبهم العزاء ، وتبعث فيهم الرجاء ، فقد كانوا يهتفون « يا أم العواجز ويا ام هاشم » •

ولكم رأيت رجالا ونساء ، في مقتبل العمر ، وفي خريف الحياة، قد وضعوا ايديهم على شباك ضريح السيدة ، ورائحة البخور تملأ المسجد كله

ثم راحوا يهمسون في اذن ام العواجز . وقــد تمثلت لهــم بشرا سويا ، يبسم ويتنفس ، ويمد راحتيه ويضع بينهما ايــدي الزائرين والقاصدين، ولكم سمعت هذا الهمس الخفيض ، وانا صبي أكاد اميز الاشياء ،فأتشعر ان هذا ليس سوى لقاء هيام وغرام ، يصل فيه الوجد الى اقصاه وتــرق المناجاة تهطل فيه الدموع ، وتصعد فيه الاهات ، وتتوالى خلاله القبلات، واسمع : يا ام العواجز يا ام هاشم يا طاهرة •• يا أخت الامام •• يا بنت الامام •• نظرة والنبي ••



فهرست

فهرست

منشورات دار التيار الجديد

اسم الكتاب	المؤلف	سعر
قرآن بسجاب كف ملون		٢٠
« « جيب		١٢
« « خيري		١٢
« « جيب		١٦
قرآن بدن سحاب جيب		٦
« » خيري		٨
الحوار في القرآن	محمد حسين فضل الله	٣٥
لاسلام ومنطق القوة	محمد حسين فضل الله	٣٠
السلم وقضايا الحرب	محمد مهدي شمس الدين	١٨
فقه الامام جعفر الصادق١/٣	محمد جواد مغنية	١٢٠
الفقه على المذاهب الخمسة	« «	٥٠
الشيعة في الميزان	« «	٣٠
اسرائيليات القرآن		٢٦
مذاهب فلسفية		١٦
فلسفة الولاية		١٠
فلسفة التوحيد		١٠
عقليات اسلامية ١/٢		٧٠
الوضع الحاضر في جبل عامل		١٠

اسم الكتاب	المؤلف	سعر
اهل البيت منزلتهم ومبادئهم		١٠
الاثنا عشرية واهل البيت		٦
المجالس الحسينية		١٢
مع بطلة كربلاء		١٢
صفحات لوقت الفراغ		١٤
الامام علي وعلم الاخلاق		٢
الدين والشباب		٢
الامام علي والعلم الحديث		٢
من هنا وهناك		٢٠
مع علماء النجف		٢٠
فلسفة الاخلاق		١٨
الانسان والايمان	مرتضى مطهري	٥
مقالات حول الثورة	« «	٦
الصراع والتحدي	هادي المدرسي	٣
ارشاد القرآن	حسين شحاذي	١٢
في ظلال القرآن والاسلام	ابراهيم فواز	٦
الكلام وتأثيره على الكائنات	ابراهيم فواز	٢
الف كلمة	للامام علي	٤
التصور الاسلامي للمجتمع	يحيى محمد	٦
نظرات ونفسيات	بسام مرتضى	٦
الادعية اليومية ودعاء كميل	اعداد عبدالله قشمر	٣
الادعية اليومية ودعاء كميل	اعداد حسين شحاذي	٣

كتب توزعها الدار

اسم الكتاب	المؤلف	سعر
التفسير المبين كبير	محمد جواد مغنية	١٢٠
» » وسط	» »	٧٠
» » صغير	» »	٤٠
تجارب محمد جواد مغنية		٣٠
دعوة التقريب بين المذاهب		١٢
نفحات محمدية		٨
بين الله والانسان		٨
فلسفة المبداء والمعاد		٨
شبهات الملحدين		٨
الاسلام والعقل		١٥
التفسير الكاشف ١/٧		٢٤٠
في ظلال نهج البلاغة ١/٤		١٥٠
علم اصول الفقه		٢٤
الاسلام والحياة		٢٠
الله والعقل		٥
النبوة والعقل		٥
الامام علي والعقل		٥
الآخرة والعقل		٥
المهدي انتظر والعقل		٥
معالم الفلسفة		٢٦
فضائل الامام علي		٢٦
الشيعة والحاكمون		٢٦













